التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 118 السنة الخامسة عشر - سبتمبر 2017

مخاطر تفاقم الدَّيْن العام

موقفنا

الأعباء على المواطن

حين نعود إلى الوراء قليلاً، ونراجع سلسلة المواقف والبيانات التي أصدرها المنبر التقدمي والقوى السياسية الوطنية الأخرى منذ عودة الحياة البرلمانية في العام 2002، والمتصلة بالشؤون التنموية والاقتصادية، وعلاقة ذلك بالحياة المعيشية للمواطنين، سنجد أن تلك المواقف قد حذّرت من الحال التي بلغناها اليوم، من عجوزات كبيرة في الميزانية، ومن تفاقم في مستويات الدّيْن العام تنذر بعواقب مقلقة.

ولو أن الدولة أخذت بعين الاعتبار تلك التحذيرات، ولا شك أنها كانت واعية لأهميتها لربما تفادينا ما وصلنا إليه، فعلى الرغم من البرامج الاستثمارية التي كانت الحكومة تعلن عنها، إلا أنها انطوت دائماً على الكثير من الثغرات الجوهرية وأغفلت كثيراً من الجوانب أو تعاطت معها باستخفاف، فلم يكن ممكناً تحقيق معدلات نمو سنوية ثابتة، في ظل التعويل على المساهمة الحاسمة لإيرادات النفط في نمو إجمالي الناتج المحلي، وهي مساهمة لا فضل للحكومة فيها، مما يطرح تساؤلاً عن مساهمة القطاعات غير النفطية في زيادة معدل النمو وصولاً إلى المعدل السنوي المنشود.

وحتى في ذروة ارتفاع أسعار النفط، جرى التحذير من أن التعويل على ذلك لبلوغ معدلات النمو المستهدفة هو مراهنة غير واقعية ترقى إلى مستوى المقامرة، لأنه ليس من المضمون أن تحافظ أسعار النفط على مستوياتها المرتفعة آنذاك، وذلك حكماً من تجارب سابقة، لا في البحرين وحدها، وإنما في بلدان خليجية أخرى لا يمكن مقارنة وضعنا بما هي عليه من ثراء، فحتى في غمرة التفاؤل كانت هناك توقعات أخرى، معللة اقتصاديا، بهبوط أسعار النفط في أي وقت.

وعلى الدوام غابت في برامجنا خطط طوارئ لمواجهة احتمالات انهيار أسعار النفط ، والاستعداد للاحتمالا ت الأسوأ عبر سياسات انفاق رشيدة ومتوازنة، تضع في مقدمة أولوياتها مصالح المواطنين ورفع مستوى معيشتهم والحفاظ على المكتسبات الاجتماعية التي تحققت لهم، والتركيز على القطاعات غير النفطية وتنويع مصادر الدخل.

ها نحن قد بلغنا المرحلة التي أضحت فيها تلك التحذيرات أمراً واقعاً، وللأسف الشديد فإن أول ما لجأت إليه الدولة في مواجهة استحقاقاتها الصعبة هو تحميل المواطن المغلوب على أمره، محدود ومتوسط الدخل، أعباءها، مستهدفة إياه بسلسلة من الرسوم ومن الضرائب غير المعلنة، وغير المبنية على سياسة ضرائبية عادلة وشفافة، تجعل من هذا المواطن شريكاً ورقيباً على أوجه الانفاق ووضع السياسات.

التقدمي

الشباب - الشراكة لا الوصاية 06

مخاتلة الشعار وفشل المشروع 20

عبدالحسين عبدالرضا: عظمة البساطة 21

ملتقى التقدمي يناقش قضايا الموازنة العامة وتفاقم الدين العام

نقد التخبط في إدارة الملف الاقتصادي ومطالبة بحوار مجتمعي جاد

ضمن فعاليات ملتقى التقدمي الاسبوعي، أقام المنبر التقدمي بتاريخ 20 أغسطس ندوة تحت عنوان «الميزانية العامة.. الدين العام.. الواقع والتحديات" تحدث فيها كل من د. محمد الكويتي و د. حسن العالي. تركز طرح المتحدثين حول المحاور الرئيسة للمعضلة الاقتصادية، ومنها عقم وتخبط السياسات الاقتصادية خلال السنوات الماضية والفشل في تنويع مصادر دخل الميزانية العامة رغم كثرة الحديث حول ذلك لعقود مضت، وانعكاسات تضخم الدين العام بصورة غير مسبوقة، والذي أصبح يشكل أكثر من 75٪ من الناتج المحلي الاجمالي وهو يتجه سريعا ليمثل 100٪ من الناتج الاجمالي.

ويترافق ذلك مع تكلفة الاقتراض العالية وتراجع التصنيف الائتماني للبحرين لدى الهيئات والجهات المقرضة، وتبعات ذلك بشكل واضح على جملة الأوضاع المعيشية للمواطنين وتراجع الاستثمارات وهروبها، في ظل عجز وتخبط واضحين من قبل الجهات المعنية وفي مقدمتها الوزارات المعنية بإدارة السياسات المالية والنقدية والوضعين الاقتصادي والمعيشي في البلاد.

ويزداد الوضع سوءا مع تعدد وتعارض مواقع القرار الذي بات يشكل عائقا مزمنا أمام إحداث اي تطور إيجابي. كذلك تحدث المتندیان حول السياسات الضريبية التي يتم الترويج لها منذ فترة وزيادة رسوم الخدمات على المواطنين والمقيمين وارتفاع الاسعار، حيث من المفترض أن تتم دراستها ضمن رؤية اقتصادية ومجتمعية واضحة تقوم على إدارتها كفاءات إدارية ومهنية متخصصة، وتتطلب تحقيق عدالة وشفافية ومساءلة لازالت بعيدة المنال في ظل ما هو قائم من اوضاع، خاصة مع الضعف الواضح في الدور الرقابي والتشريعي للسلطة التشريعية وضعف الصلاحيات وغياب الكتل الفاعلة.

كذلك تم التطرق خلال الندوة لمسائل تتعلق بالتضخم الإداري في الجهاز الحكومي وعدد الوزارات والهيئات مما يضيع الكثير من الموارد ويعزز من الممارسات البيروقراطية في أجهزة الدولة وتفاقم مؤشرات الفساد وتداخل او تعارض المصالح وتفشي الولاءات وشراء الذمم لصالح فئات ونخب وشرائح محددة، على حساب تعزيز مسار وطريق الإصلاح الاقتصادي الذي يكثر الحديث حوله دون أن نجد تطبيقا فعليا لكل ما يقال في هذا الشأن.

وفي ظل ضياع وتداخل القرار، يبدو واضحا للعيان غياب الجهة المعنية برسم السياسات الاقتصادية، حيث يتم تقاذف مسؤولية القرار الاقتصادي بين أطراف عدة من بينها السلطة التنفيذية ومجلس التنمية الاقتصادية ووزارة المالية ووزارة الصناعة والتجارة وغيرها من الجهات، وبالمثل تبدو هياكل إدارية مستحدثة غير قادرة على إقناع الجمهور والشارع التجاري بقدرتها على الإسهام في رسم السياسات الاقتصادية ومن بينها " تمكين" وغرفة تجارة وصناعة البحرين، فيما يتم تغييب بقية مؤسسات المجتمع المدني المعنية عن المشاركة في القرار الاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي يفسح المجال واسعا أمام الحكومة للانفراد بالقرار دون وجود رؤية اقتصادي واجتماعية واضحة، مستفيدة من عجز مجلس النواب المنتخب عن المساءلة والقيام بدوره الرقابي الفاعل.

وفي ختام الندوة أكد د. حسن العالي على أن أحد أهم الحلول الممكنة للخروج من حالة التأزم القائمة في الوضعين الاقتصادي والاجتماعي وكذلك السياسي، هو الإقرار بضرورة قيام حوار مجتمعي جاد وواسع تساهم فيه كافة الأطراف المعنية، ويقود نحو تحقيق ديمقراطية حقيقية وسلطة تشريعية ذات صلاحيات وقدرة على المساءلة والرقابة وأن تبنى السياسات والرؤى على مستوى عال من الكفاءة والشفافية.

قطاع الشباب والطلبة ب «التقدمي» يدعو إلى تعزيز مشاركة الشباب في العملية السياسية والتنموية

يصادف اليوم السبت الثاني عشر من أغسطس "اليوم العالمي للشباب" وهذا العام 2017 تحتفل الأمم المتحدة به تحت شعار "سلام من صنع الشباب"، وهى المناسبة التي ارتبطت بصورة مباشرة مع البند السادس عشر من أهداف التنمية المستدامة الذى ينص على السلام والعدل ومحاربة الفقر، وبهذه المناسبة يؤكد المنبر التقدمي عبر قطاع الشباب والطلبة على دور شباب البحرين في كافة المجالات وميادين العمل الوطني وارساء قيم السلام والمحبة ومواجهة خطابات التفرقة العنصرية والكراهية والطائفية، كما يؤكد القطاع قناعته بان الشباب هم المعيار في قياس اتجاه المجتمعات نحو التنمية والبناء والتحامها بالتقدم وإرساء أركان المستقبل الواعد.

ويدعو قطاع الشباب والطلبة بالمنبر التقدمي في هذه المناسبة كل الأطراف والجهات المعنية إلى فتح حوار جدي هدفه النهوض الفعلي بواقع الشباب البحريني على أسس وطنية لا يصح ان تكون موضع جدال، ويكون الشباب أحد أهم دعامات هذا الحوار الذي من الأهمية بمكان أن يناقش قضايا وهموم بناة المستقبل، وان يخرج باستراتيجية تشكل أجندة عمل مستقبلية تعزز دور شبابنا وتوفر لهم كل الفرص والامكانيات وإعطائهم الحقوق الكاملة وغير المنقوصة وكذلك الدور القيادي الذي يستحقونه بجدارة مع إشراكهم في صناعة القرار والتغيير.

ويؤكد قطاع الشباب والطلبة على الدور الطليعي لشباب البحرين في مواجهة كل محاولات جر مجتمعنا وبلادنا الى صراعات وانشطارات قائمة على التعصب والتطرف والانقسامات الطائفية والمذهبية على النحو الذى ساد في بعض الدول العربية وأدت الى نتائج كارثية، وهو على قناعة بان شباب البحرين هم على درجة من الوطنية والوعي بحيث يكونون على الدوام حائط صد لأي محاولات لجرنا الى اي نوع من المنزلقات والصراعات.

كما يهم قطاع الشباب والطلبة بالمنبر التقدمي ان يؤكد في هذه المناسبة على أحقية الشباب البحريني في الحصول على الوظائف المناسبة لهم، ويدعو الى المسارعة الى إنهاء ملف الباحثين عن عمل وخاصة في أوساط الشباب الخريجين، والى الشفافية في توزيع البعثات، كما يدعوا إلى تقديم كل أوجه الدعم والمساندة للمنظمات والجمعيات الشبابية وتجاوز اي محاولات لتهميشها أو حصرها في قوالب جامدة او شكلية او أدوار مناسباتية عديمة الفاعلية والتأثير، مع أهمية ان تكون هذه الجمعيات والمنظمات رافداً نوعياً لمسيرة العمل الاجتماعي الذى تقوم به مؤسسات مجتمعنا المدني، تعزيز مشاركة الشباب في العملية السياسية والتنموية.

ندوة في ملتقى التقدمي عن الرسوم والضرائب

نظم ملتقى التقدمي مساء الأحد الموافق 27 / 8 / 2017 ندوة بعنوان: «الرسوم والضرائب والاقتصاد الراكد – الآثار السلبية على المواطنين» تحدثت فيها الكاتبة الصحفية رجاء مرهون، التي أوضحت أن مشروع الرسوم على السجل التجاري طرح، أول مرة، في أكتوبر من عام 2015، دون أن تتوقف أمامه الجهات المعنية به أكثر من سواها، وخاصة غرفة تجارة وصناعة البحرين، حيث لم يناقش أو يرفض، قبل أن يصدر القرار في السنة الماضية، وينتقل إلى حيز التنفيذ أخيراً.

وقدمت المنتدية عرضاً مهماً عن الرسوم والضرائب، وعن الأعباء القادمة على كاهل المواطن البحريني، جراء السياسات الحكومية بهذا الخصوص، وأشارت إلى الضريبة المضافة وشيكة التطبيق في البحرين ودول مجلس التعاون الأخرى.

فضفضة

عن دعم المشاريع الشبابية

عيسى الدرازي

في الكويت أصدر وزير المالية رئيس مجلس الخدمة المدنية بالإنابة قراراً بشأن الإجازة الخاصة للتفرغ لإدارة المشروعات الصغيرة أو المتوسطة، ويمنح القرار الموظف بناء على طلبه وبعد موافقة الصندوق الوطني لرعاية وتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة إجازة خاصة بمرتب للتفرغ لإدارة إحدى المشروعات الصغيرة والمتوسطة لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات كحد أقصى.

وفي البحرين مؤخراً أعلن الوكيل المساعد للسجل التجاري والشركات بوزارة الصناعة والتجارة والسياحة «أن الوزارة ستبدأ بتطبيق الرسوم على الأنشطة التجارية بشكل سنوي بعد أن تم فصل رسوم السجل التجاري عن النشاط الذي تزاوله الشركات والمؤسسات التجارية».

المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الغالب هي الطريق الأمثل للشباب في وقتنا الحالي، دون الخوض في معدلات البطالة والمنافسة غير المتكافئة في شغل وظائف القطاع الخاص بالإضافة إلى «طمر» القطاع العام بالموظفين دون آلية واضحة لتجديد الدماء في هذا القطاع الذي بات يعاني الترهل، لذا فإن المنفذ المتبقي أمام هذه الطاقات الشبابية هو التوجه للعمل الحر عبر المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ومن الكويت سنجد الكثير من المشاريع الشبابية التي انطلقت صغيرة تقوم على فرد أو اثنين واليوم تضم عشرات الموظفين العاملين تحت مظلتها.

هناك في الكويت، تجربة رائدة نسبياً على المستوى الخليجي، نجد دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة من أعلى المستويات في الدولة وبصورة لا لبس فيها، لذلك فإنها كمشاريع شبابية تجد من يسندها في بداياتها وهي الفترة المهمة جداً لإنجاح المشروع.

محلياً، هناك هيئات ومؤسسات مالية تدعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة بل وحتى المشاريع المتناهية الصغر، هو أمر لا يمكن إغفاله، والمساعدات التي كانت يقدمها صندوق العمل «تمكين» – والآن بصورة أقل نسبياً– ساعدت شريحة كبيرة من الشباب البحريني لتأسيس مشروعه أو للحصول على شهادات عملية من شأنها ان تسهم في تطويره شخصياً ليطور بعدها من مشروعه وصولاً لتحقيق الربحية، ولكن دائماً ما يكون هناك «ولكن» في الحديث عن دعم الشباب والمشاريع الشبابية تلك المبادرات الطيبة تصطدم بقرارات وزارية من جهات أخرى تنعكس سلباً على تلك النوعية خاصةً من المشاريع.

إن كان لابد من سن رسوم تجارية على المؤسسات والشركات فليصدر استثناء يحمي المشاريع الصغيرة والمتوسطة ويحمي المشاريع الشبابية التي اتجه إليها أهلها مرغمين، والحرص على تحصين مثل هذه المشاريع من أية رسوم قد تسبب ضغوطاً على أصحابها، أملاً في أن تترسخ مفاهيم هذه النوعية من المشاريع في قناعة الشريحة الشبابية لما لها من أثر بالغ في تطوير قدرات الشباب ودفع العجلة الاقتصادية قدماً.

جمعيات التيار الديمقراطي تحيي ذكرى الاستقلال

تمر في الرابع عشر من أغسطس الذكرى السنوية لاستقلال البحرين عن الحماية الإستعمارية البريطانية، وإعلان قيام دولة البحرين المستقلة، وعلى الرغم من أن إعلان هذا الاستقلال كان في أحد وجوهه نتيجة إعلان حزب العمال الحاكم في بريطانيا يومها عن سحب الوجود العسكري البريطاني من شرق السويس، أمام تصاعد مطالبة شعوب هذه المنطقة بالاستقلال والحر ية، وما تكبدته قوات الاحتلال البريطاني من خسائر في اليمن الجنوبية على أيدي حركة التحرر الوطني هناك، إلا أن هذا الإستقلال ا جاء أيضاً هزيمة للمطالبات الإيرانية بضم البحرين إلى إيران، وتأكيداً على تمسك شعب البحرين عن بكرة أبيه باستقلال بلاده وبعروبتها.

وقد تجلى ذلك بوضوح فما عبر عنه البحرينيون إلى المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة نسبير جويشياردي الذي أتى إلى البحرين والتقى بالأهالي، حيث لمس تصميم الشعب البحريني على الاستقلال ورفضه القاطع للإدعاءات الإيرانية، فخلال الفترة التي مكثها هذا المندوب في البحرين على رأس لجنة تضم خمسة أعضاء آخرين والتي استمرت حوالي 18 يوماً عبر ممثلو كل الفعاليات والمؤسسات والجمعيات والشخصيات من المجتمعين المدني والاهلي، وكذلك الأشخاص والوجهاء ممن التقتهم اللجنة على هذا الموقف.

وفي 11 مايو 1970 عقد مجلس الأمن اجتماعه وصوّت بالإجماع على تقرير ممثل الأمين العام للأمم المتحدة، الذي أكدّ فيه على أنه لم يلمس أي خلاف بين البحرينيين من مختلف الأصول على هذا الموقف، كما أكدت كلمات المندوبين تأييدها لعروبة واستقلال البحرين، وجاء هذا التصويت استجابة لتطلعات شعب البحرين ونضالاته الطويلة في نيل الإستقلال والتحرر من كافة أوجه الهيمنة الأجنبية.

وقد فتح ذلك الباب أمام البحرين لتصبح عضوة في جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة، حيث شاركت لأول مرة في دورة الجمعية العامة العادية المنعقدة في سبتمبر 1971.

وكان استقلال البحرين إيذانا بالتحولات الداخلية المهمة التي شهدتها بعد ذلك، حيث أقرّ المجلس التأسيسي نصف المنتخب أول دستور في تاريخ بلادنا، وفي السابع من ديسمبر 1973 أجريت أول انتخابات نيابية، فازت فيها المعارضة الوطنية بعدد كبير من المقاعد، قبل أن يجري حل البرلمان في أغسطس 1975، وتجميد العمل بمواد رئيسية في الدستور، وفرض قانون أمن الدولة سيء الصيت.

إن جمعيات التيار الوطني الديمقراطي إذ تحيي الذكرى السنوية لاستقلال البحرين، وتعبر عن إجلالها للتضحيات الكبيرة التي قدّمها شعبنا عبر أجيال من أجل نيل هذا الاستقلال وتأسيس الدولة المدنية، دولة المواطنة الدستورية التامة، تؤكد مجدداً في هذه المناسبة دعوتها إلى تجاوز ما يعاني منه وطننا في الظرف الحالي من تراجع في العمل السياسي الوطني، بتجاوز الآثار والتداعيات السلبية لأحداث 2011، بالعودة إلى روح ميثاق العمل الوطني الجامعة لكل المواطنين، والنابذة للانقسامات الطائفية، وتحقيق توافقات بين الدولة والقوى السياسية الوطنية حول الملفات السياسية والمعيشية، وإطلاق الحريات العامة، خاصة حرية العمل الحزبي وحرية الصحافة، وتسوية أوضاع المعتقلين والسجناء السياسيين، والتأكيد على الحل الوطني لكل ما يواجه البلد من تحديات، وحماية وطننا من التدخلات الأجنبية ومن ارتداد الأزمات الإقليمية عليه.

وانطلاقا من إيمان جمعياتنا بأن الوحدة الوطنية هي المرتكز الأساسي للاصلاح والتطور الديمقراطي، وإنجاز المهام التي تواجه بلادنا سياسياً واقتصادياً، فإن جمعياتنا، إذ تدرك مسؤوليتها في هذا المجال تدعو كافة القوى والشخصيات الوطنية من مختلف الانتماءات السياسية والفكرية إلى العمل المشترك من أجل استعادة وحدتنا الوطنية وخلق مناخات الثقة بين مكونات المجتمع المختلفة.

التجمع القومي
جمعية «وعد»
المنبر التقدمي

«التقدمي» يعزي برحيل المناضلة فاطمة أحمد ابراهيم

بعث الرفيق خليل يوسف الأمين العام للمنبر التقدمي برسالة تعزية للرفيق المهندس محمد مختار الطيب السكرتير السياسي للحزب الشيوعي السوداني برحيل المناضلة الجسورة والشخصية البارزة في الحركة الشيوعية والعمالية، والنسائية والحقوقية العالمية والعربية والسودانية الأستاذة فاطمة أحمد إبراهيم، معبرا فيها باسم قيادة وجميع أعضاء وأصدقاء المنبر التقدمي في البحرين بخالص العزاء والمواساة، إلى جميع الرفاق في الحزب الشيوعي السوداني الشقيق والشعب السوداني المكافح وذوي الفقيدة الغالية.

وجاء في التعزية: «إن أجيالا من مناضلي حزبنا تحت راية جبهة التحرير الوطني البحرانية ومن ثم في المنبر التقدمي، وكذلك في الحركة النسائية التقدمية والنقابية في البحرين عرفت في الفقيدة فاطمة أحمد ابراهيم نموذجا رائعا للمناضل الذي لا يلين له جانب والمنحاز أبدا لهموم الشعب وتطلعاته المشروعة في الحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي. تعلموا من سيرتها واللقاءات بها الكثير، كما شكل دعمها الحيوي على مختلف الجبهات إسهاما حقيقيا في نصرة القضايا العادلة لشعبنا في مختلف المراحل.

وستظل سيرة فاطمة ابراهيم النضالية مدرسة تتعلم منها أجيال قادمة. وستبقى ذكراها العطرة خالدة لدى شعبها والعالم.

وقطاع المرأة بالتقدمي يعزي بالفقيدة

كما بعثت الرفيقة فهيمة درويش مسؤولة قطاع المرأة بالتقدمي ببرقية تعزية للإتحاد النسائي السوداني عزت فيها بالفقيدة فاطمة أحمد ابراهيم التي تركت سيرة عطرة اغنت بها الحياة الفكرية والثقافية والسياسية وظلت على الدوام مثالا للمرأة السودانية في صبرها وقوة احتمالها وقدرتها على العطاء، هي إحدى رائدات العمل النسائي اللواتي نحتن الصخر من أجل إرساء دعائم الحركة النسوية العربيه والعالمية حتى بعد اغتيال زوجها ورفيق دربها الشهيد الشفيع احمد الشيخ. حيث بذلت الكثير من التضحيات في سبيل المرأة السودانية، في النضال السري و العلني فكانت أول سودانية تدخل الجهاز التشريعي بالبلاد وأول امرأة عربية تولت رئاسة الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي.

ندوة عن واقع الشباب في ملتقى التقدمي الأسبوعي

نظّم ملتقى التقدمي بتاريخ 8 أغسطس 2017 ندوة بعنوان (قراءة في واقع الشباب البحريني....في اليوم العالمي للشباب 12 أغسطس) تحدث فيها الرفيق خليل الجمري رئيس قطاع الشباب والطلبة في المنبر التقدمي والرفيق أحمد عبد الأمير من المكتب الشبابي لجمعية وعد و الرفيقة زهراء عبدالله عضو في قطاع الشباب والطلبة في المنبر التقدمي.

افتتح الرفيق خليل الجمري اللقاء بقراءة البيان الصادر عن قطاع الشباب والطلبة في المنبر التقدمي بالمناسبة، ثم استعرض الرفيق أحمد عبد الأمي عدة محاور تتصل بقضايا الشباب البحريني والخليجي، بينها: الشباب في الخليج والبحرين وتقاطع التحديت، الشباب البحريني في النصوص الدستورية والاستراتيجيات والخطط، الشباب البحريني ومطلب التمكين وإشكالية الاحتواء، الشباب البحريني بين النصوص الناظمة والتحديات القائمة، أين يقع الشباب الخليجي في رؤى حكومات دول مجلس التعاون الخليجي.

الرفيقة زهراء عبدالله قدّمت ورقة بعنوان (سلام من صنع الشباب) لعام 2017، تحدثت عن إقرار 12 أغسطس يوماً عالمياً للشباب في 1999 من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة يحتفل به كل عام .وتحدثت عن الأوضاع الصعبة التي يعاني منها الشباب، وبالأخص الطلبة الخريجين الذين ينضمون سنوياً لصفوف العاطلين عن العمل في البحرين، بالإضافة إلى ازدياد التطرف والغلو في صفوف الشباب العربي بسبب إنتشار الفكر التكفيري من خلال وسائل التواصل الاجتماعي وطرحت العديد من التساؤلات حول الأحوال والصعوبات التي يعاني منها الشباب.

«التقدمي» يعزي برحيل رفعت السعيد

بعث الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق خلال يوسف ببرقية تعزية إلى رئيس حزب التجمع التقدمي الوحدوي الرفيق سيد عبدالعال بوفاة القائد اليساري الدكتور رفعت السعيد، عبر فيها عن خالص التعازي إلى جميع أعضاء الحزب وكل القوى الوطنية والتقدمية في جمهورية مصر الشقيقة وذوي الفقيد الغالي.

وقال الأمين العام في برقيته: «إننا نشارككم الشعور العميق بفقد هذا المفكر اليساري والمدافع الصلب عن القيم والأفكار التقدمية والمحارب للفكر التكفيري والمؤرخ للحركة الشيوعية واليسارية في مصر، ويشكل رحيله خسارة للقوى التقدمية واليسارية في مصر والعالم العربي، التي تقدر دوره النضالي ومساهماته الفكرية التي ستظل مرجعاً يستزيد منه المناضلون والباحثون».

محطات

يحررها: خليل يوسف

صناعة الاصلاح ..

الحديث عن الاصلاح شئ، وصناعة الاصلاح شئ آخر، يجب أن يكون هذا واضحاً ومفهوماً، بقدر ما يجب ان يكون واضحاً ومفهوماً إن أسوأ أنواع الاصلاح هو الذى يتقدم بك خطوة ويتراجع بك عشر خطوات ...!!، أي حين يساق الاصلاح الى قفص الاتهام، هل هناك أسوأ من ذلك ..؟!

أكاذيب ..

بلادنا تحتاج الى جهد جماعى لإحالة اكاذيب كثيرة ترتدى أقنعة بشرية الى التقاعد، من دون اعطائهم مكافأة نهاية الخدمة ..

ماذا فعلتم ..؟

«هناك اجانب يتحكمون بالتوظيف فى بعض مؤسسات القطاع الخاص»– هذا الكلام لوكيل وزارة العمل، ونشر بتاريخ 30 ابريل 2017 .

ياترى هل حدث ما يترجم متابعة لهذا الملف، وان هناك إصراراً وعزيمة وعناد وتفانٍ و«مناطحة» بهدف تصحيحٍ وضع سوق العمل بوجه عام وإعادة الاعتبار للبحرنة ..؟!

يوم الشباب الدولي .. ونهج الشراكة لا الوصاية ..!!

مرَّ اليوم الدولي للشباب الذى يصادف 12 اغسطس من كل عام، دون مخرجات معتبرة، فقد وجدنا الكثير من الكلام المعاد والمكرر بهذه المناسبة، والذى لايخرج عن سياق التأكيد على أهمية النهوض بالشباب وتأهيلهم، والتأكيد على دورهم فى تحقيق الإنجاز والتغيير الإيجابيين فى المجتمع، وأنهم أمل الغد وهدف المستقبل.

وجدنا تصريحات كثيرة من أطراف عدة تحدثت عن الشباب فى يومهم العالمي: تصريحات انشائية من وزراء ومسؤولين ونواب وغيرهم، واحتفاليات لم تخرج عن إطار «الشو» الاعلامى .. ولم يتطرق أي ممن تحدثوا عن الشباب ومستقبلهم الى واقع الشباب البحرينى، ولا لقضايا وأولويات هؤلاء الشباب، ولا الى مسألة إشراكهم فى السياسات والبرامج الرامية الى النهوض بمواقعهم، ولا كيفية تهيئة الفرص لهم فى صنع القرار المتصل بمستقبلهم، كما لم يتطرق أحد منهم إلى أي من الملفات التى تؤرقهم، من فرص العمل والتشغيل والبطالة والتمييز وتكافؤ الفرص، والمحبطات التى تواجههم على أكثر من صعيد..!!

شبابنا ليس بحاجة إلى تصريحات انشائية تتكرر كل عام وفى كل مناسبة تتصل بالشباب، فى مهرجانات المديح السنوى، ولا فى الفعاليات التى يستلهم منها انماطاً من الدعاية التى نريد أن نثبت من خلالها أن الشباب البحرينى فى صدارة اهتماماتنا، بل هم بحاجة إلى ما يترجم على أرض الواقع بأنهم فعلاً فى صدارة اهتماماتنا وأولوياتنا، من خلال قناعة بأن الشراكة الحقيقية مع الشباب ليس ترفاً، بل هو ضروري ومصلحة عليا، و الشراكة الحقيقية مطلوبة ولازمة ، وقبلها رؤية واضحة وارادة، هذا أمر محسوم، فهل نشهد نهجاً ينقلنا من الوصاية الى الشراكة مع الشباب ..؟!

يبقى سؤال: هل يصدق الشباب انهم يشاركون فى بناء مستقبلهم ..؟!

إعادة هيكلة الكلام ..!

فى 13 مارس 2017 أعلن عن مشروع يقضي بإعادة هيكلة الحكومة، وهناك من ذهب إلى أنه مشروع يستهدف إعادة ترشيقِ الحكومة، المواطن انتظر طويلاً ويخشى انه ينتظر غودو ..!!

حكاية ..

دخل نابليون حفلاً أقيم على شرفه، فأخذ مكانه على كرسي منزوٍ قرب باب المدخل، مما أثار استغراب منظمو الحفل.

توجه إليه أحدهم ليدخله إلى المنصة المخصصة له، قائلاً : ليس مكانك هنا سيادة الإمبراطور، فسأل نابليون:وأين مكانه؟، إنه فى انتظار غودو، فردَّ المنظم : هناك فى المقدمة وعلى الكرسي اللائق بالإمبراطور، فأفضل الأماكن وأحسن الكراسي هى من يجلس عليها الإمبراطور ..!

قصة نابليون تثير السؤال: هل الحق يعرف بالرجال، أم الرجال بالحق يعرفون ..؟

الزيارات التفقدية..ماذا تعنى ..؟

زيارات الوزراء التفقدية، مسبقة التحضير والتجهيز والإعداد .. هل هى حقيقية أم تمثيلية..؟ وهل من يثبت لنا أن هذه الزيارات لها مخرجات ..؟! ، ثم التكرار الممل بان هذه الزيارات تهدف إلى التعرف على احتياجات المواطنين، هل يعنى هذا الكلام بأن احتياجات الناس غير معروفة حتى الآن، وأليست هذه مصيبة فى حد ذاتها؟!

بصراحة

المشاكل المعيشية تتفاقم .. والمستقبل غامض

هل يستطيع المواطن أن يتنبأ لمستقبله، ويخطط لمراحل عدة ما بعد الجامعة / العمل (إن وجد) / الزواج / السكن / ...الخ ؟ والمصيبة الأعظم فكيف هو حال المواطن الذي غادر تلك المحطات وأوضاعه المعيشية لازالت أكثر تعقيداً، فهو لا يفكر في المستقبل بل كيف يستطيع العيش في الحاضر، كيف يعمل ويكدح ليوفر لقمة العيش لأسرته، يقول ماركس (العمال لا يستطيعون العيش بغير قوة عملهم)، وفي ظل صعوبات وأوضاع لا يستطيع تجاوزها بيسر بل بالمشقة والتعب، السؤال الذي يطرح في هذه الأيام لماذا يتحمل المواطن أعباء إضافية في حياته المعيشية وراتبه أو الراتب التقاعدي بالكاد يغطي مصاريفه حتى منتصف الشهر، هذا إذا لم يكن مرتبطاً بقروض بنكية أو سلف من فلان أو علان.

فاضل الحليبي

والسؤال الأهم ماذا فعلت الدولة للمواطن؟ الذي تحمّله أعباء مالية إضافية، وكأنه هو المسؤول عن تراجع أسعار النفط وتزايد الدين العام في البلاد، ألا يكفي تدني الرواتب للمواطنين والقروض العديدة التي عليهم وإذا بهم يصحون كل صباح ليتفاجئوا بإصدار رسوم (ضرائب) جديدة عليهم، ولا نعرف من هم المستشارون الذين ساهموا في تلك الاستشارة الخارقة، لكن المعلوم إن ذلك تنفيذ لنصائح البنك الدولي وهي الكارثة بامتياز، وإذا أردتم الدليل فانظروا إلى ما فعلته هذه الاستشارات باليونان، ولا تكفي الضغوطات والأعباء المتفاقمة على المواطنين، فتطلق بالونات (جس نبض) كل يوم لمعرفة ردة فعل المواطنين وآخرها الحديث عن رفع سن التقاعد إلى 65 سنة، وهذا ما يؤكده بعض النواب، بالرغم من أنه لم يحدد متى سيطبق ذلك، فوحده من لديه القرار يعرف اليوم والشهر والسنة.

التعليم / الصحة / العمل / الإسكان / البطالة

هذا الخماسي يشكل قلق دائما للمواطنين. نبدأ بالتعليم حيث يتطلب توفير بيئة صحية لتعليم الأبناء، فبالعلم ترتقي الشعوب وتتقدم وتتطور وتزدهر، فإذا قرأت عن التنمية المتطورة في هذه البلد أو ذاك، تأكد بأن مخرجات التعليم فيها تطبق وفق استراتيجية واضحة المعالم، ولكن ما يجري في البلدان العربية بعيداً عن التخطيط الاستراتيجي، ففي بلادنا تحولت مخرجات التعليم طوال السنوات الماضية لحقل من التجارب الفاشلة بالرغم من النتائج الإيجابية التي يحققها العشرات وربما المئات من الخريجين من الطلبة المتفوقين في الثانوية العامة الذين يجب الاستفادة من طاقاتهم في توفير التخصصات العلمية والعملية لهم لكي يبدع كل طالب وطالبة في تخصصه الذي كرس سنوات تعليمه من أجله ولكي يساهموا بعد التخرج من الجامعة في بناء وتطور وتقدم بلادهم مثلما حدث في البلدان المتقدمة التي بدأت نهضتها بتطوير التعليم، فيما واقع البعثات وتوزيعها على الطلبة المتفوقين عندنا بات في حال يرثى لها.

– كان يضرب المثل بالبحرين في الخليج في ثمانينات القرن الماضي في تطور خدماتها الطبية المقدمة، وفي مستوى الأطباء الاستشاريين العاملين في مجمع السلمانية الطبي المتطور في تخصصات متعددة، اما اليوم فقد تغيّر الحال اليوم وأصبحت المستشفيات والعيادات الخاصة تستنزف أموال المواطنين الذين لا يستطيع الأغلبية منهم تسديد فواتيرها إلا من خلال الديون أو التأمين الصحي إن وجد، وفي العام المقبل سوف يطبق التأمين الصحي وهي بداية خصخصة المستشفيات والمراكز الصحية، فعلى المواطن أن يكون جاهزاً لدفع فاتورة جديدة، تضاف إلى ما نعاني منه الآن من تردٍ في مستوى الخدمات الصحية التي تقدم للمواطنين ويشكي العديد منهم تأخيراً في المواعيد ولشهور عدة بالرغم من الأمراض المزمنة التي يعانون منها ويحتاجون لعناية خاصة لكي لا يسوء وضعهم الصحي بسبب بُعد المواعيد، علاوة على تقاعد الأطباء الاستشاريين أصحاب الكفاءات والمؤهلات وتفرغ البعض لعياداتهم الخاصة، وتأثير تداعيات أحداث 2011 م وتزايد أعداد المراجعين بما فيهم المجنسين الجدد ما أثّر على جودة الخدمات الصحية المقدمة للمرضى والمراجعين لمجمع السلمانية الطبي .

– العمل / البطالة: تنص المادة 13 (ب) من دستور مملكة البحرين على: (تكفل الدولة توفير فرص العمل للمواطنين وعدالة شروطه)، فيما العديد من المواطنين وبالأخص الخريجين منهم لا يحصلون على وظائف سواء في القطاع الحكومي أو القطاع الخاص، وهم ليسوا بالمئات بل بالآلاف، حيث لا يوجد رقم محدد لدى الجهات الحكومية أو المدنية، ولا تستطيع أي جهة تحديد النسبة المئوية، إلا من خلال جهة محايدة ودقيقة وبشفافية لمعرفة الرقم الحقيقي وليس التقديري للعاطلين عن العمل بما فيهم غير المسجلة اسمائهم في سجلات وزارة العمل .

– الإسكان أو السكن، حق مكفول دستورياً في المادة 9 (و) التي تقول (تعمل الدولة على توفير السكن لذوى الدخل المحدود من المواطنين) بالرغم من المحاولات التي تبذل من قبل وزارة الإسكان منذ أكثر من عام ، إلا أن الموضوع يحتاج لسنوات لتقليص عدد مدة الانتظار إلى أقل من عشرين عاماً كما هو حاصل حالياً، فعدد مقدمي الطلبات للإسكان يفوق 54 ألف طلب وفقاً لما أعلن من قبل وزارة الإسكان في الصحافة المحلية.

سوء الخدمات المقدمة للمواطنين ترجع لأسباب عدة منها عدم وجود تخطيط واستراتيجية واضحة، الفساد والمحسوبية والتجنيس، إضافة للوضع السياسي المتأزم والمستمر، المعالجات الخاطئة للعديد من القضايا والملفات، فكل هذا كلّف الدولة أموالاً طائلةً بدلاً من أن يستفيد منها المواطنون وتحل مشاكلهم وهمومهم المذكورة أعلاه.

أصبح العديد من المواطنين يشعرون بقلق كبير في ظل استمرار الأزمة الاقتصادية والمالية منذ أن تمّ رفع الدعم عن العديد من السلع والمحروقات في العام الماضي 2016 م، والعجز في ميزانية 2018/2017 وتزايد الدين العام حتى وصل 13 مليار دينار بحريني وفي السنوات المقبلة سوف يتضاعف هذا الدين مما يعني أنه على المواطنين شد الأحزمة استعداداً للأسوأ القادم.

الميزانية ومخاطر تفاقم الدّيْن العام

أولا: ما هي الميزانية العامة وماذا يجب أن تحقق

• المالية العامة يجب ان تحقق ثلاثة أهداف

• تحقيق الاستقرار المالي (تجنيب الدولة تأثيرات التقلبات في الإيرادات وأيضا لعدم مرونة الإنفاق)

• تحقيق التنمية (الإنفاق على المشاريع وتوليد الوظائف ودعم القطاعات غير النفطية)

• ضمان مستقبل الأجيال (لكون النفط ثروة ناضبة) .

• الهدف الأول قصير المدى والثاني والثالث متوسطي المدى

• لكن جميعها يتطلب توفير جزء من العوائد كاحتياط للمستقبل؟

• ما هو حجم الاحتياط يعتمد ما بين كل دولة وأخرى.

• لكي تحقق الأهداف أعلاه يجب على سياسة الإنفاق العام أن تقوم على القدرة على الاستمرارية، الكفاءة، والقدرة على التكيف

• جميع الدول ولاسيما النامية بحاجة لجهاز تخطيط للتنمية يتضمن قياس كفاءة الأداء والمسائلة والشفافية وقياس الأداء

ثانيا : واقع الميزانية العامة في البحرين

• الميزانية العامة لها أهمية مضاعفة في دولنا النفطية لكونها تمثل 30 – 40٪ من الناتج المحلي بينما تمثل في الدول الغربية 10٪ لأن القطاع الخاص هو الذي يدير الاقتصاد

• واقع الميزانية العامة اليوم هي حصيلة سياسات الدولة الريعية على مدى أربعة عقود، وأهم سماتها هي:

• 90٪ من الإيرادات هي عائدات خارجية وليس إنتاجية

• ميزانية يغيب عنها التخطيط الاقتصادي سواء لجهة الإنفاق أو الدين العام – برغم وجود برامج مثل الرؤية 2030 ومجلس التنمية وبرنامج الحكومة لكن غياب جهة تخطط للاقتصاد

• من 1971 إلى 1995: وزير التنمية والصناعة، والوزير المسئول عن شئون مجلس الوزراء المرحوم يوسف الشيراوي كان رأس لجنة الخيارات الإستراتيجية التي كانت تتنبأ باحتياجات البحرين كل خمس سنوات.

• يهيمن على الميزانية تلبية احتياجات القصيرة الأمد – النفقات التشغيلية 90٪ وليس التنموية – نصفها للرواتب والأجور ومنها 50٪ للوزارات الأمنية والعسكرية وربعها لفوائد الدين العام

• ونتيجة لكون تلك المصاريف لا يمكن المساس بها وتقليصها فأن الخيارات لترشيد النفقات محدود أو غير مرغوب فيه وصارت التركيز على:

• تقليص حزمة الدعم الاجتماعي وهو كان أبرز ملامح ما سمي بالدولة الأبوية التي كانت الدولة تقدمه نظير عدم مسائلتها وإخضاعها للانتخابات لكن هذه الحزمة باتت غير مستدامة أو قادرة على تحملها على المدى البعيد – ما يحدث اليوم من تراجعات عن الدعم الحكومي

• الجانب الثاني هو فرض الرسوم وخاصة القطاع الخاص – قضية شائكة تتعارض مع العناوين العريضة لهذه المرحلة ورؤية البحرين 2030 ولبرنامج الحكومة الخاصة بدعم وتحفيز القطاع الخاص

• أكد وزير المالية أنه ليس من المستهدف أن يتحمل القطاع الخاص عجز الميزانية

• تم فرض 274 نوعا من الرسوم خلال الأعوام الثلاثة الماضية

• يوجد 77 ألف منشأة منها 58 ألف منشاة بين 1 – 4 عمال و11 الف منشأة بين 5 إلى 9 عمال أي 90٪ صغيرة ومتناهية الصغر

• تتسم الميزانية أيضا بغياب قدرتها على الحفاظ على مستقبل الأجيال من الثروة النفطية

• الاحتياطيات المالية – الفوائض المالية لا توجد

• – احتياطي الأجيال 550 مليون دينار – الاقتراض منه

• ممتلكات – تساؤلات كثيرة

• احتياطي البنك المركزي من العملات الأجنبية انخفض من 2.2 مليار

د.حسن العالي

دينار عام 2014 إلى 816 مليون دينار عام 2016 (يغطي أقل من ثلاثة أشهر للواردات) بينما ارتفعت المطالب على الحكومة في ميزانية البنك المركزي من صفر إلى 990 مليون دينار خلال نفس الفترة أي أن البنك يسحب من الاحتياطي لتمويل الحكومة.

• تمول الميزانية حكومة متضخمة وكبيرة بنفقات وموازنة ضخمة – الحديث عن حكومة مصغرة وتقليص عدد الوزارات لا يمكن تنفيذه.

• تقوم على توزيع الامتيازات والمشاريع وتقوم بمشاريع بإعمار ومناقصات ووكالات تستفيد منها «النخبة» المرتبطة والموالية بالدولة سواء كان هذا الولاء بنمط سياسي أو عشائري أو كليهما.

• تقوم على احتواء قطاعات من «النخب الثقافية» وهي نخب كانت مؤهلة للعب دور فاعل والمساهمة في عملية بناء المجتمع المدني.

• تغييب وغياب المؤسسات الحوكمية المشرفة على تخطيط وتنفيذ الميزانية وغيرها من عمليات التنمية

• غياب المسائلة والشفافية ويهيمن عليها الغموض والضبابية والتداخل بين الحسابات والفساد

• أنّ هذه الدولة تعتمد سياسات توزيعيّة تؤدي إلى إخراج السكان من الحيّز السياسي وبالتالي من أية مطالبة بالديمقراطيّة.

ثالثا: الدين العام

• الدين العام تطور بصورة غير منطقية ما بين 2001 و 2016 حيث ارتفع بقيمة 8.4 مليار دينار يعني تضاعف 15 مرة خلا ل 15 عام في حين أن العجز كان ثلاثة مليار دينار يمثل 37٪ مما تم اقتراضه.

• منذ عام 2009 ، وليس من العام 2011، بدأت الدولة بالاقتراض بأكثر من العجز في الميزانية. ففي العام 2010 بلغ العجز الفعلي 460 مليون دينار بينما زاد ت قيمة الدين بمقدار 1.1 مليار دينار، كذلك عام 2013 حيث بلغ العجز الفعلي 410 مليون بينما بلغت زيادة الدين 1.2 مليار دينار.

• ويزداد الأمر غموضا إذا ما عرفنا أن ميزانية الدولة حققت خلال نفس هذه السنوات وخاصة خلال الفترة 2003 – 2008 فائض قدره 1.9 مليار دينار أي نفس قيمة العجز المتحقق. وغير واضح أين يتم استثمار هذا الفائض.

• الدين حاليا 75٪ من الناتج المحلي لكن متوقع أن يرتفع مع نهاية العام 2018 إلى 13 مليار دولار يعني يتجاوز 100٪ من الناتج المحلي لكن النسبة الفعلية حاليا تفوق 200٪ إذا اخذنا بالاعتبار الديون المضمونة من الحكومة

• توقعات سعر النفط أقل من المرصود في الميزانية

• تخفيض التصنيف الائتماني للبحرين (B1) مع نظرة سالبة – يعني مضاربات مرتفعة وتأثيره على الاقتراض وتكلفة الدين – يرتفع الهامش فوق سعر الفائدة الأساسي

• ارتفاع أسعار الفائدة عالميا (يرتفع سعر الفائدة الأساسي)

• الأزمة القطرية وتأثيرها على الصادرات – 350 مليون دولار 5٪ من الصادرات غير النفطية

• ظروف السوق المالية العالمية

• تتوقع موديز أن تمثل نفقات الدين (تسديد الأصل مع الفوائد) 30٪ من الناتج المحلي الاجمالي عام 2018 يعني

بما يعادل 3 مليار دينار تقريبا وهو يعادل كامل الدخل من النفط .

رابعا: كيفية تحسين لمالية العامة وتخفيض الدين العام.

• تصريحات وزير المالية – توجد دراستان، واحدة لتحسين كفاءة إدارة الدين والثانية لبدائل تخفيض الدين.
• مبادئ تحسين كفاءة إدارة الدين.
• يجب وضع أهداف إدارة الدين العام.
• الشفافية والمسائلة
• الإطار المؤسسي
• إستراتيجية إدارة الدين
• إطار إدارة المخاطر
• إنشاء سوق كفء للأوراق المالية الحكومية
• سالضرائب وخفض النفقات
• تحسين مصداقية السياسة المالية.
• تخفيض التعرضات لتقلبات سعر الصرف وسعر الفائدة
• إصلاحات هيكلية لتحفيز النمو – أداء المؤسسات والقطاع المالي
• تخفيض مخاطر الالتزامات غير المباشرة مثل الضمانات الحكومية للقروض.

التجربة التركية

خفضت تركيا نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي إلى النصف من 80 في المائة تقريبا في عام 2001 إلى أقل من 40 في المائة قبل الأزمة العالمية في عام 2009.

أولا، إحياء النمو الناجم عن الإصلاحات في الداخل، ومحادثات الانضمام مع الاتحاد الأوروبي

ثانيا، زيادة الانضباط المالي، ولدت تركيا فوائض مالية أولية بين عامي 2002 و 2005.

ثالثا، منحت المزيد من الاستقلالية للبنك المركزي، ونفذت سياسات نقدية أفضل، وزادت من ثقة الأسواق العالمية بالليرة.

ورابعا، أدار الدين العام بشكل أفضل، مما أدى إلى فترات أطول من الاستحقاق وانخفاض أسعار الفائدة.

وخامسا، استخدمت حصيلة الخصخصة لسداد الديون السيادية.

الوضع في البحرين

• لا يوجد الحل السحري
• لا بد من حزمة من السياسات
• إعادة جدولة الديون مع البنوك المحلية وصناديق التنمية
• تخفيض الديون القصيرة الأجل (4 مليار دينار عام 2016)
• ترشيد الإنفاق ومحاربة الفساد المالي والإداري
• بيع الحكومة جزء من ممتلكاتها في المؤسسات الكبرى مثل بتلكو وبنك البحرين الوطني وعدد من المؤسسات المربحة (الوطني 44٪ – 331 مليون دينار وبتلكو 37٪ – 125 مليون دينار – البا 69٪ 495 مليون دينار – المجموع بالكثير مليار دينار – 10٪ من الدين العام
• وقف هبات الأراضي وبيع جزء من الأراضي الحكومية للقطاع الخاص
• شفافية اكبر للمؤسسات التي تملكها الدولة والتي من المفترض ان تضخ ارباح الى الميزانية
• وقف التجنيس السياسي
• فرض ضرائب على أرباح الشركات التي تزيد أرباحها عن مليون دينار
• خفض عدد الوزراء والوزراء بدون حقائب وعدد الوكلاء والمدراء بالدولة
• خفض النفقات وخصوصا الأمنية والعسكرية
• تحفيز القطاع الخاص
• تشكيل هيئة مستقلة لمراقبة الدين العام وتحجيمه
• إصدار قانون لإدارة الدين العام

.

• جميع الخطوات أعلاه لن تكون ذات مصداقية وجدية في ظل غياب سلطة تشريعية قوية وكاملة الصلاحيات وعملية ديمقراطية سليمة. لذلك لا بد من الإصلاح السياسي والدستوري لأي إصلاح اقتصادي.

قانون سكسونيا وبقاء الفساد

جلال إبراهيم

نسمع لفظ قانون سكسونيا في العديد من الأماكن وفي الدراما وعدد من الأفلام القديمة دون أن تعرف ما المقصود بقانون سكسونيا؟ فهل هي كلمة ترمز للتهكم والاستخفاف من القوانين؟ أم أنها تحمل رموزا معينة أو تحمل أبعاداً تاريخية؟

قانون سكسونيا هذا يرمز لتطبيق القانون على البسطاء والفقراء وعدم تطبيقه على الأغنياء وأصحاب النفوذ. فمن غرائب التاريخ البشري ومبتدعات الأمم في العصور السالفة ما كان يعرف بقانون «سكسونيا» وهو قانون ابتدعته حاكمة مقاطعة سكسونيا إحدى المقاطعات الألمانية القديمة في العصور الوسطى.

وبموجب هذا القانون فإن المجرم يعاقب بقطع رقبته إن كان من طبقة "الرعاع" وهم عموم أفراد الشعب الفقير الكادح... . أما إن كان المجرم من طبقة النبلاء فعقابه هو قطع رقبة ظله! بحيث يؤتى "بالنبيل المجرم" حين يستطيل الظل بُعيد شروق الشمس أو قُبيل مغربها، فيقف شامخا منتصب القامة، مبتسما، ساخراً من الجلاد الذي يهوي بالفأس على رقبة ظله، ومن جمهور الشعب الذي يصفق فرحا بتنفيذ "العدالة»!.

وهكذا فإن السارق لو كان من الكادحين، والمغلوب على أمرهم يزج بغياهب السجن ويعاقب نتيجة لقيامه بالسرقة. أما سادة القوم لو سرق أحدهم فلا يصاب بأي أذى لأن ظله هو من يحاكم ويزج بمحاكمة صورية وراء القضبان!.

وعند الحديث عن الفساد في مملكة البحرين، فإن التقارير السنوية "لديوان الرقابة المالية والإدارية" تشير بوضوح إلى الفساد الواسع والمتنامي في الكثير من الوزارات والمؤسسات الحكومية. وهذه أمثلة بسيطة على أشكال الفساد التي ذكرها تقرير الرقابة المالية والإدارية في العام(2015/2016).

– 17 ألف دينار رواتب لموظف تغيب سبعة أشهر عن العمل.
– 42 مليون دينار قيمة أملاك مستملكة لم يعوض أصحابها، ونزع ملكيات خاصة خلافا للقانون.
– 1.7 مليون لم يدفعها مستأجر للأوقاف لاستئجاره أربع مجمعات سكنية.
– 41 مليون دينار متأخرات رسوم وإيجارات أملاك بلدية غير محصلة.
– الآثار تدفع 150 ألف دينار رواتب لموظفين لم يزاولان عملا لديها.
– 36 ألف عامل غير نظامي في البحرين.
– 18 ألف دينار لمشاركة ستة موظفين بمؤسسة الحقوق بمؤتمر في منغوليا.

مر على صدور تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية أكثر من عشر سنوات ولا نزال نشهد كل عام جملة من المفاسد المالية والإدارية في مختلف المؤسسات الرسمية. وبلا شك أن ذلك يؤدي إلى تبديد المال وتوسع الدين العام. ومنذ صدور هذا التقرير(الحكومي) وحتى يومنا هذا لم يقدم وزير واحد إلى محاكمة، ولم يحاسب مسئول رفيع، عن مجمل الفساد المالي والإداري التي لا تتوقف كل عام.

بين الفساد المالي والإداري وقانون سكسونيا علاقة طردية، فكلما وجد هذا القانون الذي يحاكم ظل المفسدين الكبار يتمدد الفساد بصورة واسعة، في حين يضمحل ويتراجع عندما يوجد النقيض لقانون سكسونيا في محاسبة الفساد!.

إن أردنا القضاء على الفساد في المؤسسات الرسمية، كما ورد في تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية طيلة السنوات السابقة، فعلينا أن لا نحاكم ظل المفسدين، بل علينا أن نطبق القانون على الكبير قبل الصغير.

لماذا تفشل التنمية في بلداننا؟

لست متخصصا في التنمية، ولست عارفاً بعلم الاقتصاد أو التعليم أو الاجتماع أو بأي علم من العلوم ذات العلاقة بتنمية الوطن في مختلف المجالات. باعتقادي المتواضع وأنا مواطن كسائر المواطنين الذي يتحدثون فيما بينهم سرا أو علنا فيما يرونه أنه إخفاق في تنمية وطننا في الكثير من المجالات العلمية والاقتصادية والصحية والاجتماعية والاسكانية وفيما كل ما يهم المواطن البسيط العادي من مصالحه اليومية والحياتية.

شوقي العلوي

المواطن دائم الشكوى والتبرم من الخدمات التي تُقدم له في مختلف المجالات، ومنها المجال الذي يصل إلى لقمة عيشه وأمنه الوظيفي والتعليمي والصحي والإسكاني، أي بالمجالات التي تتعلق بأساسيات حياته اليومية، مع اعتقاده أن بلده قد حباها الله من الخيرات بما يمكنها من توفير الحياة الكريمة له ولبقية المواطنين؛ لكن هذا الشعور بات معدوماً لدى المواطن وقد وصل به الأمر أن يصبح مهدداً في قوت يومه.

الحالة التي أتحدث عنها قد تكاد ليست مقتصرة على بلدي، بل أشعر أنها محل شكوى في جميع بلداننا العربية، اللهم إلا الاستثناء القليل الذي لا يذكر، وما يهمني هنا بلدان دول مجلس التعاون التي حباها الله من الخيرات التي باتت شعوبها بسببه محط الأنظار والأطماع بل ومحط حسد الحاسدين، بالرغم من أن الحقيقة تقول غير ذلك تماما، فتذمر المواطن هي السمة السائدة بين المواطنين، والخوف من المستقبل هو أعظم وأشد، الأمر الذي سينفذ معه حتما الصبر لدى المواطن، ما لم تسارع السلطات المسؤولة لمعالجة ذلك وبالسرعة اللازمة، لتفادي الأسوأ.

وما يهمني هنا هو حديث المواطن الدائم حول كفاءة من يتحمل مسئولية قيادة العمل.

دعونا نتحدث دون مجاملة ودون مديح، حيث تعتمد في التعيين لمختلف الوظائف معايير أبعد ما تكون عن عنصر الكفاءة الحقيقية في شغلها، حيث يكون التحدر العائلي والولاء بالمفهوم الضيق والمحاصصة الطائفية غير المعلنة من ضمن المقاييس التي يتم اعتمادها في شغل هذه المواقع، سواء في المناصب القيادية والتي سرى مفعولها حتى على الوظائف العادية.

أناس يولدون وفي فمهم ملاعق من ذهب، وآخرون يولدون وفي فمهم التراب فاقدين الأمل في نيل الموقع الذي يستحقونه؛ بل أصبحوا فاقدي الأمل في الحصول حتى على وظيفة تحميهم من شر البطالة، بذلك نحن ندفن الكفاءات التي ستخدم البلد وتساهم في تنمية حقيقية له، وحتى لو حالف الحظ أحدهم وحصل على الوظيفة، فإنه لن يصل إلى موقع ما نتيجة كفاءة هو يتمتع بها، ولكن نتيجة أسباب أخرى مرافقة، وبدلا من يؤدي مهامه بما يساهم في تنمية بلده، فإنه سيعمل ضمن الثقافة السائدة، بالإضافة إلى أنه سيعمل ضمن فريق عمل قد يكون معظم أعضائه لا يتمتعون بالكفاء اللازمة، لأنهم لم يصلوا إلى مواقعهم ضمن مقاييس الكفاءة، حيث أنه حتى الوظائف الدنيا والوسطى لم يتم شغلها بمقياس الكفاءة، وإنما تم شغلها بمعيير من تلك التي ذكرنا بعضها.

في بلداننا عموما وليس هناك من تخصيص لبلد بعينه نجد المواطنين العاديين وهم الغالبية العظمى من مجموع المواطنين يتم استبعادهم من حقهم في المشاركة الحقيقة في القرار والمساءلة، وإن وجدت مجالس منتخبة من قبلهم تمثلهم، فإنها مجالس شكلية مقلصة الصلاحيات، وبالتالي تغيب المساءلة الحقيقية للحكومة عن قصور أدائها أو فشلها، بل نجد الدولة هي من تشكل الحزب الرئيسي الذي يملك مفاتيح وصول مرشحيه لمثل هذه المجالس العاجزة عن المساءلة والمحاسبة، وتلك من الأسباب الحقيقية لبقاء عجلة التنمية في كافة المجالات تراوح مكانها.

بذلك نرى المكاسب الاجتماعية والاقتصادية وتبوؤ المناصب محصورة في فئة معينة من الناس خاضعة لمقاييس محددة لا علاقة لها بالكفاءة والاستحقاق، لذا جاز لنا أن نسأل كيف تتحقق تنمية تعليمية في ظل تولي مسؤولية العملية التعليمية في معظم مواقعها من قبل كفاءات متدنية وهذا يصح على التنمية الاجتماعية أو الصحية أو الاقتصادية.

ما مدى توافق أحكام قانون الأسرة مع مبدأ المساواة بين المرأة والرجل

أولا: إن قانون الاسرة رقم (١٩) لسنة ٢٠١٧ الصادر في ١٩ يوليو ٢٠١٧ والذي سيعمل به يوم غد الأول من أغسطس ، وستسري أحكامه على جميع الدعاوى منذ هذا التاريخ بما فيها الدعاوى التي مازالت تنظر أمام المحاكم ولم يصدر فيها حكم موضوعي وأن اعترته نواقص وعيوب ، وأن لم يكن بالمستوى الذي كانت تطمح إليه وناضلت طويلا من أجله نساء البحرين المنضوية في إطار الاتحاد النسائي البحريني وسائر مؤسسات المجتمع المدني التقدمية ، فأن صدوره بصورة موحدة في أحكام واحدة تجمع الفقه السني والجعفري وفي أحكام تخص كل فقه هو أفضل مما هو قائم ، وما كان ممكنا أن يصدر افضل مما هو عليه في ظل الظروف الراهنة وتجاذبات وانقسام المجتمع وتنامي النعرات الطائفية، وأن علينا أن ندرك أن (المساواة في القانون لا يعني المساواة في الحياة) انه خطوة أولى نحو قانون أفضل منه .

في هذه الخطوة يمكن لي كمحام أن أعطي الرأي في المسائل الشرعية التي نص عليها من نص مقنن يلزم القاضي ، ولي الحق أن أطعن عليه بالتمييز أن حاد القاضي عنه .

ثانيا : كما تعلمون أن اصوات من رجال الدين الشيعة الجعفرية ارتفعت رافضة للتقنين حين قام المجلس الأعلى للمرأة بحملة داعية لإصدار هذا القانون بهدف (إيقاظ شعور الناس إلى حاجتهم إلى قانون ينظم أحوالهم الشخصية) وذلك بعد أن انتهى مركز البحرين للدراسات والبحوث في الدراسة التي أعدها بتكليف من المجلس الأعلى للمرأة إلى أن (نسبة كبيرة من فئات المجتمع البحريني من هم في سن الزواج الشرعي أو حتى المتزوجين ليس لديهم اطلاع أو إلمام أو معرفة بما يعنيه قانون أحكام الأسرة) ، وقد استمر هذا الرفض حين تم عرض القانون على المجلسين ، فصدر بقسمه الأول المتعلق بالمذهب السني دون قسمه الثاني المتعلق بالمذهب الجعفري ، وذلك تحت حجج لم ولن تصمد أمام الواقع ناقشناها طويلا وفي أكثر من مناسبة .إذ لم تعد تنفع الاصوات التي اعترضت على صدور القانون ، ولم يعد ينفع توقيع 220 عالم دين بحريني في 17 يوليو 2017 اللذين لم يقولوا شيئا في البيان الذي ذيلوه بتوقيعاتهم سوى التأكيد على ان (الموقف اتجاه قانون الاسرة هو الموقف السابق وان الاشكاليات والمخاوف التي بينها العلماء لا زالت قائمة مع ما يشتمل عليه من مخالفات شرعية واضحة) دون توضيح إلى هذه المخالفات الشرعية ، ذلك أن القانون قد صدر وتم تصديق عليه وأصبح له قوته الالزامية شأنه شأن أي قانون أخر فالقانون أي كان مدني ، جنائي أم أسرة هو تعبير عن حاجة المجتمع لتنظيم سلوك الأفراد في قواعد قانونية يعلمها الكافة وتكون ملزمة لهم ، فهناك إذن تلازم بين القانون والمجتمع ، فالمجتمع لا يقوم إلا على نظام ، والنظام لا يستوي إلا على قواعد آمرة ملزمة ، يتعين علينا احترام هذه القواعد ، وان وأن كان فيها عيوب ونواقص .

ثالثاً: لان تطور المجتمع يقاس بتقدم المرأة. فانا منحاز لها ولست ضد الرجل ، ذلك أن قناعتنا راسخة بان تقدم

المحامي حسن إسماعيل

المرأة هو في ارتباط وثيق مع تحرير المجتمع من كل أشكال الاضطهاد الطبقي والقومي والاثني والديني ولان النظرة الي دونية المرأة هي نتاج تطور تاريخي اجتماعي، لا تتعلق بالفروق البيولوجية بين المرأة والرجل. وأن الفهم المادي للتاريخ يكشف أن التحول في اسلوب الانتاج يؤثر علي الوجود الانساني باسره، بما في ذلك شكل العلاقات بين الرجال والنساء، ولا يمكن الفصل بين الانتاج وتجديد النوع البشري في تطور المجتمع .

رابعاً: لمناقشة أحكام قانون الاسرة لبيان مدى تحقق المساواة بين الرجل والمرأة وحقوق الاطفال في بعض أحكامه ، ننطلق بما نص عليه من تعريف للزواج إذ نصت المادة (5) من القانون على أن (الزواج عقد شرعي بين رجل وامرأة لتكوين أسرة بشروط وأركان مع انتفاء الموانع غايته السكن والإحصان تترتب عليه حقوق وواجبات شرعية متبادلة.) فعلى الرغم مما نص عليه في المادة (6) بشكل إيجابي وبصورة تعزز من حرية ارادة طرفي العقد وقت ابرامه علي حق الأزواج في وضع شروطهم في عقد الزواج، إلا شرطاً أحل حراما أو حرم حلالا ، . غير أن تعريف الزواج لا يكرس ولا ينطلق من مبدأ المساواة بين المرأة والرجل في إبرام عقد الزواج وتحمل مسؤولياته ونتائجه على قدر واحد من المساواة إذ يفتقر التعريف للنص على أن طرفيه متساويان في الحقوق والواجبات التي هي قوام الأسرة . وهو الوضع الذي انعكس على بعض الاحكام التي نص عليها القانون ، والتي سنشير إليها في أهلية الزواج ، وفي الولاية ، وفي التعدد ، وفي مسكن الزوجية وبيت الطاعة ، وعمل الزوجة .

أهلية الزواج (سن الزواج)

نصت المادة (20) من القانون على انه (لا تزوج الفتاة التي يقل سنها عن ست عشرة سنة ميلادية إلا بإذن من المحكمة الشرعية بعد التحقق من ملاءمة الزواج.) ، وهو نص جاء على خلاف ما نص عليه ايجابيا اقتراح مجلس الشورى على انه (يشترط في أهلية زواج الفتاة أن تكون قد أتمت ثمانية عشرة سنة ميلادية ولا يجوز تزويج الصغيرة التي يقل سنها عن ثمان عشرة سنة إلا بحكم من محكمة الأسرة بعد التحقق من ملاءمة الزواج. وأن لا يقل عمرها عن ست عشرة سنة ميلادية) .

وهذا يعني أن سن زواج الفتاة طبقا للقانون هو ست عشرة سنة ميلادية ، بل أجاز تزوجيها إن كانت أقل من هذا السن بإذن من المحكمة ، أي أنها مازالت طفلة وهو ما يتعارض مع اتفاقية حقوق الطفل التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 1989/11/20م التي عززت الرغبة الإنسانية التي حملها دعاة حقوق الإنسان في العالم في حماية أطفال العالم مما يتعرضون له من صور الاستغلال والحرمان وغير ذلك من الانتهاكات في بقاع شتى من العالم، حيث عرفت هذه الاتفاقية الطفل في المادة (1) على انه " كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره" بل لا ينسجم مع قانون الطفل البحريني رقم (37) لسنة 2012الذي عرف الطفل في المادة (4) . (يقصد بالطفل في هذا القانون كل من لم يتجاوز ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة وذلك مع مراعاة القوانين النافذة الخاصة المنظّمة لمن هم دون هذا السن.)

يتبع

والذي نراه انسجاما مع أفضل الاجتهادات الفقهية والمعايير الدولية بما فيها اتفاقية حقوق الطفل أنه كان من المفترض أن يحدد قانون أحكام الأسرة سن الزواج بثمانية عشر سنة لكلا الزوجين واعتبار أي زواج لمن هم دون هذه السن باطلا لا يرتب أي اثر قانوني لهما وان لا يورد أي استثناء على ذلك. بل يتعين أن ينص القانون أيضا على إيقاع عقوبة رادعة لكل من يزوج طفلاً أو طفلةً .

ولا ينال من رأينا هذا تلك الأصوات الدينية التي ارتفعت معارضة له بحجة أن تحديد سن الزواج يعد تقمصاً لمقام الرسول الكريم، وأن فرض قيد أو شرط في شرعية أو صحة الزواج شأن من شئون الرسول(ص)، فليس لأحد من عباد الله أن يفرض قيداً أو شرطاً في صحة النكاح إذا لم يكن مفروضاً من قبل الله تعالى .

لا نقول أن هذه الحجج تتعارض مع اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة في الفقرة 2 من المادة (16) قد قررت بأن (لا يكون لخطوبة الطفل أو زواجه أي اثر قانوني .وان تتخذ جميع الإجراءات الضرورية بما فيها التشريع ، لتحديد سن أدنى للزواج ، ولجعل تسجيل الزواج في سجل رسمي أمرا إلزاميا) ، بل نرد عليها بأنه لا تعارض في تحديد للسن برفعه إلى 18 سنة لكلا الجنسين مع الشريعة الإسلامية أو تقمصا لمقام الرسول الكريم (ص) أو تدخلا في شأن من شئونه بل يصب في مصلحة المجتمع والأسرة ، فأين ما وجدت المصلحة فثمة شرع الله ، ولا يجوز بأي حال من الأحوال إسقاط الرخص التي أجازها الله تعالي لنبينا محمد (ص) كزواجه من السيدة عائشة (رض) لضرورة ملجئة على أحوال العامة من الناس فهذا هو عين التجاوز لشريعة الإسلام ، ولا ينال من رأينا هذا الاجتهادات الفقهية في المذاهب الخمسة التي ترى صحة زواج الصغار ممن هم دون سن البلوغ ، إذ خالفهم في ذلك عدد من الفقهاء منهم ابن شرمه و الليثي فذهبوا إلى عدم صحة زواج الصغار مطلقا وان العقد الذي يعقده أولياؤهم نيابة عنهم يعتبر باطلا ، فلا مصلحة للصغار في هذا العقد بل قد يكون فيه ضرر لهم ، حتى وان كانت المذاهب الأربعة السنية تتيح لهما بعد البلوغ حق الخيار في الإبقاء على الزواج أو فسخه على عكس المذهب الجعفري الذي لا يجيز لهما مثل هذا الخيار .

ان أقل ما يمكن قوله أن نص القانون بتحديد سن زواج الفتاة بستة عشر سنة وبأقل من هذا السن بأمر من المحكمة الشرعية يشجع الزواج المبكر مما يؤثر سلبا على المجتمع ، إذ بينت العديد من الدراسات مخاطر الزواج المبكر وما يؤول إليه من طلاق وغيره من الآثار السلبية. ، ولعل من ابرزها ما نص عليه قانون الطفل البحريني حين نص في المادة (44) على أن المقصود (بسوء المعاملة النفسية، كل فعل من شأنه أن يؤدي إلى الإضرار بالنمو النفسي والصحي للطفل.) . وتزويج الصغيرة يعد كذلك .

الولاية في الزواج

على الرغم من الايجابية التي نصت عليها المادة (26) من القانون على انه. (ينعقد الزواج بإيجاب من أحد المتعاقدين وقبول من الآخر صادرين عن رضا تام بألفاظ مخصوصة شرعا، وبالإشارة المفهمة أو الكتابة في حال العجز عن النطق مع مراعاة أحكام المادة (27) من هذا القانون).

وعلى الرغم ايضا أنه في الفقه السني نصت المادة 15 البند 1 الفقرة (د) على انه (إذا عضل الولي انتقلت الولاية إلى القاضي.)

غير أن المـــــادة (28 البند أ) في الفقه السني تشترط لصحة عقد الزواج حضور الولي وموافقته. ويعتبر الزواج صحيحا بغير مباشرة الولي بالدخول بالزوجة متى وقع العقد صحيحا باعتبار قانون محل إبرامه، وإذا كانت الزوجة بحرينية فيشترط رضا الولي عند إثبات عقد الزواج)، وإذا لم يتوافر هذا الشرط في عقد الزواج يكون العقد باطلا غير صحيح عملا بحكم المـــــادة (43 البند 1) التي نصت على أنه (وفقا للفقه السني الزواج غير الصحيح ما اختل فيه ركن من أركان العقد أو شرط من شروطه أو وجد مانع من موانعه) ولا يترتب على الزواج غير الصحيح حتى وان دخل بها الزوج أي أثر من آثار الزواج حسب نص المادة (45 البند أ) التي نصت على أنه (لا يترتب على الزواج غير الصحيح بعد الدخول أي أثر من آثار الزواج في ثلاث حالات منها حالة (عدم وجود الولي والشاهدين معا في مجلس العقد وذلك وفقا للفقه السني) . أي انه لا مهر لها ، ولا نسب ، ولا نفقه ، ولا تخضع للعدة .

ولم يعالج القانون مثل هذه الحالات في الفقه الجعفري وانما نص في المادة (15 البند 2) على أن (الولي في زواج البكر هو أبوها أو جدها لأبيها، ويشترط في نفاذ تزويجها رضاها بذلك، ومع عدم وجود الأب أو الجد لأب، تستقل المرأة بالزواج إذا كانت بالغة راشدة ولا ولاية على ثيب عاقلة من زواج صحيح.)

واضح من النص ان الفقه الجعفري يفرق في الولاية ما بين البكر والثيب ، فولي البكر هو ابوها أوجدها لأبيها ولابد من رضاها لنفاذ الزواج ، غير أن النص هنا لم يعالج في حالة عدم وجود الاب أو الجد من هو وليها ؟؟ أما البكر البالغة الراشدة فهي تستقل بالزواج في حالة عدم وجود الاب أو الجد ؟ غير أن النص هنا لم يحدد سنا للبلوغ أو الرشد ؟ وهل يمكن هنا تزويج من هي غير بالغة راشدة ؟ ، أما الثيب العاقلة فلا ولاية عليها من زواج صحيح.

ولم يحدد النص الاثر الذي يترتب علي عدم وجود الولي في عقد الزواج في الفقه الجعفري كما فعل النص المتعلق بالفقه السني ، غير أن نص المادة (44 البند 2) (.وفقا للفقه الجعفري الزواج غير الصحيح ما اختل فيه ركن من أركان العقد فقط.) ، ووجود الولي ليس ركن من اركان عقد الزواج .

غيرأن الفقه الجعفري يتقاطع مع الفقه السني في نص واحد في أ وب من المـــــادة (17) ايجابيا على أنه :

أ- لا يجوز للولي أن يمتنع عن تزويج من له الولاية عليها من غير سبب شرعي

ب- لا يجوز للولي تزويج من له الولاية عليها جبرا، ثيبا كانت أو بكرا، صغيرة كانت أو كبيرة.

الذي نريد أن نصل إليه من بيان المواد سالفة البيان المتعلقة بالولاية في الفقهين ، هو إن اشتراط وجود الولي في عقد الزواج ينال من رضا المرأة حين يشاركها في هذا الرضا وليها في العقد ، ونجد فيه تمييزا ضد المرأة ونرى انه تحقيقا للعدالة والمصلحة أن يأخذ القانون برأي الامام أبو حنيفة النعمان فهو يرى أن المرأة تُزوج نفسها بغير ولي، وأن الولي شرط كمال وليس شرط صحة، والفرق بين شرط الكمال وشرط الصحة واضح، فشرط الصحة معناه أنه لا يصح الزواج إلا بولي كما هو عليه الجمهور والشافعية والمالكية...إلخ، وشرط الكمال معناه أنه يجوز ولكن من الأحسن أن يكون الولي حاضرا معها. وهو ما سار عليه المشرع المصري . وهو ما ينسجم نسبيا مع ما تقضي به المادة (16) الفقرة (ب) من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز رغم تحفظ البحرين بأن "تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية بوجه خاص تضمن ونفس الحق في حرية اختيار الزوج وفي عدم عقد الزواج إلا برضاها الحر الكامل. بضرورة أن ينص اقتراح القانون في المذهبين على أن ينعقد الزواج برضا المرأة الحر الكامل وان وأن تكون حرة في اختيار الزوج تمشيا مع وضع المرأة في مجتمعنا الحالي وما يترتب على عدم الاعتداد برأي المرأة في تزويجها لنفسها من امتهان وانتقاص من حقها في العيش كفرد يساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

تعدد الزوجات

أن تعدد الزوجات من الممكن أن يؤدي إلى ضرر لا تستطيع كثير من النساء العيش معه، والتعدد كان وما يزال سبب رئيسي للطلاق وتصدع الحياة الأسرية، وفي الغالب يجعل من حياة الزوجة الأولى مأساة لا تطاق وربما للزوجات الأخريات بعد فترة ، وللأطفال الأبرياء الذي يؤدي في الغالب إلى انحرافهم .

وقد أجاز قانون أحكام الاسرة تعدد الزوجات وهو ما يستخلص من المادة (19) في الفقهين على الزوج أن يقر في وثيقة الزواج بحالته الاجتماعية، فإن كان متزوجا فعليه أن يبين عدد الزوجات اللاتي في عصمته) ومن المادة (39/ د.) التي نصت على انه من ضمن حقوق الزوجة على زوجها (العدل في المبيت والإنفاق عند الجمع بين اثنتين فأكثر) .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن ايجابية نسبية نص عليها اقتراح الشورى وكانت منصوص عليها في قانون احكام الاسرة في قسمه الأول لم يشملها نص القانون وهي (وعلى الزوج في حالة اشتراط الزوجة ألا يتزوج عليها إخطاره بزواجه التالي بكتاب مسجل مصحوب بعلم الوصول خلال

يتبع

ستين يوماً من تاريخ تحرير الوثيقة .)

وهذا يعني أن القانون يخلو من نص يقيد تعدد الزوجات، ويحد .من إساءة رخصة التعدد ، ويفتقر إلى شروط أخرى لتقييده مثل أن تكون هناك ضرورة ملجئة إليه .

وانسجاما مع مبدأ المساواة بين الزوجين وعدم التمييز بينهما أثناء الزواج ، نعتقد انه كان من الضروري على الأقل ان ينص القانون على أن تعطى الزوجة حق الاختيار بين الاستمرار في الحياة الزوجية مع زوجها الذي تزوج من ثانية وبين حرية إنهاء العلاقة الزوجية بدون شروط . في ظل الظروف الجديدة التي فرضها عليها زوجها بزواجه من زوجه أخرى وليس هناك ما يمنع شرعا أن يكون مثل هذا النص في القانون .-

بيت الطاعة

يتقاطع الفقه الجعفري والفقه السني في نص واحد فيما يتعلق بحقوق الزوجين في المواد (38 ، 39 ، 40) وهي المتعلقة الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين و حقوق الزوجة على زوجها وحقوق الزوج على الزوجة

غير أن أحكام المواد سالفة البيان تكرس مفهوم تبعية المرأة للرجل وطاعته ، خاصة الفقرة (أ) من المادة (40) المتعلقة بحقوق الزوج على الزوجة (العناية به، وطاعته، ومعاشرته بالمعروف)، فكل الاحاديث والمرويات التي تتعلق بطاعة الزوجة للزوج جاءت ضعيفة . ** انظر دراسة د. سهيلة زين العابدين حمّاد (طاعة الزوجة للزوج «نظرة تصحيحية») .

وكان ينبغي على مشرع قانون أحكام الاسرة أن يجعل الطاعة والعناية والمعاشرة بالمعروف من الحقوق المتبادلة بين الزوجين.

مسكن الزوجية

لاشك أن الزوج ملزم بتوفير مسكن الزوجية ، وهو ما نصت عليه المادة (58) (على الزوج أن يهيئ لزوجته مسكنا خاصا ملائما مجهزا يتناسب وحالته المادية) . والمادة (59بند أ) التي نصت على أنه (تسكن الزوجة مع زوجها في المسكن الذي أعده بيتا للزوجية وتنتقل معه بانتقاله إلى مسكن آخر، إلا إذا اشترطت في العقد خلاف ذلك، أو ثبت من الانتقال حصول ضرر لها) .

والمادة (61 البند ب) (.للزوجة الحق في المطالبة بالانفراد بمسكن الزوجية منعزل عن أهل الزوج حتى ولو اشترط الزوج غير ذلك في عقد الزواج وقبلته الزوجة متى لحقها ضرر من ذلك) .

وجميع هذه المواد جاءت موحدة في الفقهين .

غير أن المادة (54) من القانون وهو نص موحد في الفقهين ايضا نصت في البند (أ) على أنه (اذا امتنعت الزوجة عن الانتقال إلى مسكن الزوجية أو تركته من غير عذر شرعي أو منعت الزوج من الدخول إليه من دون عذر شرعي، سقط حقها في النفقة بعد ثبوت ذلك قضاء.) ونصت في البند (ب) على أن (يكون امتناع الزوجة عن الانتقال إلى مسكن الزوجية بعذر

- إذا كان الزوج غير أمين على نفسها وعرضها أو مالها،
- أو لم يدفع معجل مهرها قبل الدخول،
- أو لم يقم بإعداد مسكن الزوجية،
- ووفقا للفقه السني كذلك إذا امتنع عن الانفاق عليها، أو لم تستطع تنفيذ الحكم بنفقتها لعدم وجود مال ظاهر له.

ونص في البند (ج- يثبت نشوز الزوجة بامتناعها عن تنفيذ الحكم النهائي بمتابعة الزوج إلى مسكن الزوجية) .

وتنص المـــــادة (56 ((لا ينفذ حكم المتابعة إلى مسكن الزوجية جبرا على الزوجة، ومع امتناعها تعتبر ناشزا وتسقط نفقتها، ووفقا للفقه السني كذلك يحق لهما أو لأحدهما طلب التفريق واسترجاع ما أعطاها من صداق) .

واضح من هذا المادة أن الفقه السني عالج بشكل إيجابي في حالة ثبوت نشوز الزوجة ، فأن الاثر الذي يترتب عليه ليس فقط سقوط النفقة بل للزوجة الحق في طلب التفريق واسترجاع المهر ، وهو لم ينص عليه الفقه الجعفري وهذا يعني أنها تظل ناشزا في ظل الفقه الجعفري ليس لها حق طلب التفريق كما فعل الفقه السني ، وهو ما تعاني منه الزوجة في القضاء الجعفري وستظل تعاني منه في ظل غياب النص عليه في القانون ، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هل من العدل والانصاف ان تظل الزوجة ناشزا ، اليس عدم موافقة الزوجة الرجوع لبيت الزوجية واعتبارها ناشزا يعدم دوام العشرة بين الزوجين ويجعل من استمرار العلاقة الزوجية لم تكن مستحيلة تنعدم فيها المودة والرحمة ومن ثم يحق لها طلب التفريق ؟ !

والذي نراه أنه رغم الحسنات التي نصت عليها المواد سالفة البيان وعلى وجه خاص في الفقه السني إلا أن الأصل في هذه النصوص هو تكريس مفهوم تبعية المرأة للرجل وطاعته وإجبار المرأة على الإقامة في بيت زوجها الذي يختاره هو، فأن في هذا النص تأكيد على بيت الطاعة ويتناقض مع حرية اختيار الزوجة وإرادتها، ويراد به إجبار الزوجة على العودة إلى بيت الزوجية في حال تركها له، وفي حال تمنعها تصبح ناشزا الأمر الذي يحرمها من طلب النفقة ، ويلجأ إليه الأزواج عادة لإذلال الزوجة، إذ انه من الملاحظ في معظم قضايا الطاعة لدى المحاكم الشرعية هي بالأساس دعاوى كيدية القصد منها الأضرار بالزوجة ماديا ومعنويا.

، مما يعنى أن القانون يعطي الزوج الحق برفع دعوى الطاعة فيتحكم في مصير الزوجة بطريق العذر شرعي كما لو كانت تابع له وليس شريك.

ونرى أنه على الرغم من هذه الايجابية المشار إليها فان معظم النصوص التي جاءت بشان مسكن الزوجية وبيت الطاعة فإنها تظل تكرس تبعية المرأة للرجل، ولا تجعل من عقد الزواج قائم على مبدأ المساواة بين الطرفين ، ولا تنسجم مع ما نصت عليه اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) في الفقرة 4 من المادة (15) على أن تمنح الدول الأطراف الرجل والمرأة نفس الحقوق فيما يتعلق بالتشريع المتصل بحركة الأشخاص وحرية اختيار محل سكناهم وإقامتهم .ولا تتفق مع ما نص عليه الدستور

وبناء على ما تقدم نجد من الضرورة أن ينص القانون على حق الزوجة في أن تختار السكن لا أن تجبر عليه، ذلك أن الرجل والمرأة سواء فيما يخص اختيار محل السكن فلا يجوز للزوج أن يجبر زوجته على السكن في مكان لا ترضاه ربما يعود عليها بالضرر لو أنها سكنت في هذا المكان رغماً عنها.

عمل الزوجة

يتضح من نص المادة (56) من القانون وهو نص يشمل الفقه السني والجعفري انه أجاز للزوجة الخروج إلى العمل المشروع خارج البيت ، وان خروجها في هذه الحالة لا يكون نشوزاً مسقطاً لنفقة الزوجية ، غير أن هذا النص يشترط ما يلي :

- متى كان زوجها عالماً بعملها حين ابرام عقد الزواج.
- أو اشترطت الزوجة ذلك في عقد الزواج صراحة .
- أو إذا أذن الزوج لها بذلك بعد زواجهما .

بل أن البند (ب) من ذات المادة (يعتبر نشوزاً مسقطاً لنفقة الزوجية خروجها للعمل على نحو مناف لمصلحة الأسرة رغم طلب الزوج عدم الخروج .

ونرى إنه على الرغم مما نص عليه القانون بشكل إيجابي في الأحكام سالفة البيان والتي أكدت على حق الزوجة الخروج إلى العمل ، غير أن الاشتراطات التي أوجبتها هذه الأحكام على النحو السالف بيانه تفرغ حق الزوجة في الخروج للعمل من محتواه إذ يظل الرجل هو المتحكم في عمل المرأة الذي يتطلب إذنه ويحق له منعها إن أراد على الرغم من كل ما قيل عن المساواة بين الرجل والمرأة وأنها تستطيع أن تشغل أي عمل أو وظيفة فلنتصور وزيرة يمنعها زوجها عن العمل مثلاً، وإذا أبت عدت ناشزا وسقط حقها في النفقة ، وهكذا وبدلا من أن تكون الحياة الزوجية مبنية على التفاهم وتقاسم أسباب الحياة والتشارك فيها ، فأن الاشتراطات والاستثناءات التي وضعها القانون لحق الزوجة في العمل تزرع أسباب الخلاف والشقاق بين الزوجين ويتعين إلغاءها على نحو يجعل للزوجة حق الخيار في العمل . وهو ما يتفق مع تطورات الزمن وطبيعة العصر الذي نعيش فيه حيث تشارك المرأة فيه الرجل تحمل أعباء الحياة فإذا طلبنا من الزوجة أن تترك عملها إذا لم تحصل على موافقة زوجها اضررنا بها وحرمانها من جني ثمرة دراستها وحقها في العمل واثبات ذاتها، وهذا يجعلها عضوا مستهلكا في المجتمع وليس عضوا منتجا مما يشل حياتها الاقتصادية ويجرها للوراء لذا لابد أن ينص القانون على حق الزوجة أن تعمل دون اشتراط موافقة الزوج على ذلك .

ابراهيم القصاب

قراءة في واقع الحركة النقابية البحرينية (١٨)

ومع تحرك النقابات العمالية بالتنسيق مع الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في مواجهة موجة التعدي على الحقوق الحريات النقابية، كما جاء بيانه في الحلقات السابقة، شهدت الساحة العمالية تحركات عمالية وإضرابات جزئية في العديد من المؤسسات الخاصة والعامة. منها التهديد بالإضراب الذي اعلنه عمال التنظيفات وسواق سيارات الإسعاف وكتبة الأجنحة في وزارة الصحة، الإضراب الجزئي الذي قام به العمال في وزارة الأشغال والإسكان، الإضراب الشامل الذي قام به عمال شركة «كروب فور» في مواقع مختلفة للشركة، الإضراب الشامل للصيادين، وأخيرا إضراب عمال الصيانة في شركة طيران الخليج الذي أدى إلى فصل النقيب محمد سالم من عمله.

فصل النقيب
محمد سالم من شركة طيران الخليج

وإن كان بعض هذه التحركات منظمة ولها أهداف واضحة استهدفت مصالح الفئات العمالية التي قامت بالتحرك مثل الإضراب الذي قادته نقابة الصيادين والإضراب الذي قاده النقيب محمد سالم لتحقيق مطالب عمال الصيانة في شركة طيران الخليج، فأن التحركات الأخرى تعد نضالات عمالية عفوية تعبر عن معاناة هذه الفئات من العمال من ظروف عمل ومعيشة متدنية، وعن غضبهم ورغبتهم في تغير أوضاعهم للأفضل. ولكن الملفت للانتباه أن الحركة النقابية كانت مغيبة عن هذه التحركات العفوية ولم تستطع أن تستثمرها لتحقق نقلة نوعية في اتجاه خلق تراكم في الوعي النقابي و الحقوقي لدي العمال واستقطابهم حولها، وعوضا عن ذلك كانت منشغلة بخلافاتها التي كانت تستهدف غلبة هذا التيار أو ذاك للاستحواذ على حصة أكبر في الجسم النقابي.

فالتجربة أثبتت بأن العمل النقابي يتطور ويرتقي بمستواه من خلال التفاعل مع الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي المتحرك، وما يتطلبه ذلك من متابعة ورصد مستمرين لأوضاع العمال المعيشية وحالات الاحتجاج التي تقوم بها في مختلف القطاعات والمؤسسات والشركات صغيرة كانت أم كبيرة، وقيام الحركة النقابية بتبني مطالب العمال وكل تحرك تقوم به في إطار تحسين ظروف عملها ومعيشتها وتنظيمها لتصب في التوجه العام للحركة النقابية وخلق الحس والوعي الطبقي والتحرر من الخوف الذي ترسخ لديها عبر عقود من ممارسة الهيمنة والإخضاع لإرادة أصحاب الأعمال ودفعها في دوامة العمل المضني من أجل تحصيل قوتها والقبول بكل أنواع الاستغلال الممارس عليها.

وعليه بات من الضروري على الحركة النقابية ولكي تأخذ دورها في الارتقاء بالنضالات العمالية العفوية وقيادتها لأن تكون منظمة وهادفة تصب في اتجاه تحسين الأوضاع المعيشية والاجتماعية للعمال، أن تتبنى هذه التحركات بانحياز إلى جانب العمال وممارسة كل أنواع الضغوطات من أجل انجاحها وتحقيق أهدافها، فهي العامل الأساسي في كسب ثقة العمال بالحركة النقابية والتفافهم حولها وتثبيت مواقعها. فالظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها الطبقة العاملة ومعاناتها لا تحتمل من الحركة النقابية التردد والوقوف متفرجة على جانب الطريق.

وكرد فعل ضد هذه التحركات وفي ظل تخلخل الموقف النقابي منها، أقدمت شركة طيران الخليج على فصل النقابي محمد سالم وأربعة من مجلس إدارة نقابة العاملين في شركة طيران الخليج مستغلة الصراعات المفتعلة في مجلس إدارة النقابة، مؤكدة على أنها تتبع القوانين والأنظمة واللوائح القانونية للدول الثلاث المالكة للشركة (البحرين، ابوظبي، مسقط)، وان كان لدى المدعين أي حق يطالبون به، فان الشركة ترحب بحكم القانون كما صرح بذلك مسئولها أبو الفتح.

والغريب أن موقف الشركة من النقابة وعدم اعترافها بقانون العمل البحريني يأتي بعد يوم واحد فقط على إعلان وزير العمل عن بذل مساعيه لإرجاع رئيس النقابة المفصول محمد سالم إلى عمله، وهو ما يعد تحدي الشركة للوزارة وعدم الاعتداد بها ورفضها الاحتكام لقوانين المملكة بتمسكها بقوانين وأنظمة الدول المالكة لها.

«النقابيين الديمقراطيين» يستنكر فصل النقابي سالم المنامة – تجمع النقابيين الديمقراطيين
18 سبتمبر 2004

وحول فصل النقيب محمد سالم «أعرب تجمع النقابيين الديمقراطيين عن استنكاره لقرار شركة طيران الخليج فصل النقابي محمد سالم خميس من الخدمة بسبب ممارسته للنشاط النقابي وهو ما يعد انتهاكاً خطيراً للحقوق والحريات النقابية التي نص عليها الدستور وميثاق العمل الوطني وقانون النقابات العمالية وكل المواثيق والمعاهدات

العربية والدولية في مجال الحقوق النقابية. وأشار بيان صادر من التجمع إلى «ان قرار فصل النقابي محمد سالم خميس من الخدمة يخالف المادة رقم 3 من قانون النقابات العمالية التي تؤكد (عدم جواز اتخاذ العمل النقابي ذريعة الاستخدام) والتي تتوافق مع ما جاء في المادة رقم 1 من الاتفاق الدولي رقم 98 (يتمتع العمال بحماية كافية من كل عمل ينطوي على تميز في مجال الاستخدام بسبب انتمائهم النقابي) والمادة رقم 1 من الاتفاقية الدولية رقم 135 والتوصية رقم 143 فيما يخص توفير الحماية والتسهيلات لممثلي العمال في المؤسسة (توفر لممثلي العمال في المؤسسة حماية فعالة من أية تدابير يمكن ان تنزل بهم الضرر» (الوسط العدد 743 – السبت 18 سبتمبر 2004م الموافق 03 شعبان 1425هـ)

والمتتبع لتطورات قضية نقابة طيران الخليج خلال السنة الماضية وتداعيات «تدوير» المناصب في مجلس إدارتها التي أدت إلى الإطاحة برئيسها ونائبه، وتفاقم الصراعات بين طرفي الخلاف، ووصول القضية إلى المحاكم، يلاحظ أن الشركة طوال هذه الفترة التزمت الصمت وكانت تغذي الخلافات وتؤججها بالتعامل المحدود مع الأعضاء الجدد لمجلس إدارة النقابة، وحين تطرح النقابة مطالب تمس العمال ترفض التعامل مع النقابة بحجة أن قضية شرعية أعضاء مجلس إدارة النقابة لا زالت في المحاكم، ولكن وما أن حسم الوضع في المؤتمر الأخير للنقابة بعودة القيادات النقابية الأصلية إلى مجلس الإدارة حتى بدأت الشركة بالتصعيد خوفا من أخذ النقابة زمام المبادرة في المطالبة بتحسين الظروف المعيشية للعمال وطرح الملف المطلبي برمته.

والحق أن هذا الموقف من إدارة الشركة كان متوقعا ونبه له تجمع النقابيين الديمقراطيين حين كشف موقف الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين من عملية تدوير المناصب في مجلس إدارة نقابة طيران الخليج ومساندته لقيادات الإنقلاب وتأكيد ذلك من خلال رسالة الاتحاد التي بعثها للشركة تطالبه بالتعامل مع القيادات الجديدة بعد التدوير مستبقا بذلك قرار المحكمة، وهو ما جعل الشركة تنتهج هذا النهج مع النقابة مستغلة هذه الخلافات (وحول الرسالة التي بعثها الاتحاد لإدارة الشركة راجع «قراءة في واقع الحركة النقابية الحلقة رقم 16).

وليس ذلك وحسب بل أن موقف إدارة الشركة ومع مرور الوقت أخذ منحنا أكثر تشددا حين « وجهت ادارة شركة طيران الخليج انذارات نهائية بالفصل إلى خمسة من اعضاء النقابة العمالية للشركة، وتسلم النقابيون الخمسة الانذارات يوم امس، وهم خالد العرادي نائب رئيس النقابة ويوسف ترابي، حميد محمد، محمد رمضان، عادل مرزوق، الاعضاء في النقابة.“ (الأيام 1 أغسطس2005م)

هشاشة التضامن العمالي والنقابي

ما يهمنا في هذه القضية هو التضامن العمالي الذي كشفت الأحداث والمستجدات على الساحة العمالية والنقابية خلال السنتين الماضيتين أنه لم يبقى منه غير الاسم، ولم يتعدى إصدار بيانات وتصريحات التعاطف التي تعلن التضامن دون اتخاذ المواقف العملية والحشد والتعبئة للعمال من أجل التحرك الفعلي لمساندة النقابة، وهو ما ينطبق ليس على قضية نقابة طيران الخليج، بل يتعداه إلى باقي النقابات العمالية التي تواجه هجوما من قبل الإدارات، ناهيك عن انعدام أدنى تضامن عمالي ونقابي للتحركات العمالية العفوية والمشتتة التي تحدث هنا وهناك بين الفترة والأخرى.

وأسباب ذلك أن التراخي الذي أصاب الحركة النقابية بسبب الصراعات التي تحكمها لا يكرس تقاليد التضامن العمالي الذي أرسته الحركة العمالية والنقابية المحلية والعربية والعالمية في مختلف مراحل تاريخ نضالها، بل أنه يؤدي شئنا أم أبينا إلى تشتت الحركة النقابية ويزيد من حدة الخلافات وتفاقمها، وبالتالي ابتعاد العمال عن العمل النقابي وإضعافه.

فالنقابات العمالية أصبحت منزوية وتواجه كل محاولات التهميش والتضييق من قبل الإدارات منفردة، وهو ما أفسح المجال واسعا لتطويقها ورفض الإدارات التعامل معها، وتماديها في فصل النقابيين ضاربة بعرض الحائط قانون النقابات العمالية والمشروع الإصلاحي برمته.

هذه الظروف التي تمر بها الحركة النقابية في المملكة طرحت وبإلحاح ضرورة البدء بتكريس مبدأ التضامن العمالي، وإرساء وحدة عمالية نقابية ورص الصفوف في مواجهة الهجوم الذي تتعرض له، وهو الواجب الأول الذي يأتي على قمة الأولويات في هذه المرحلة، ولا يمكن القيام بذلك إلا بنبذ الخلافات النقابية وتجاوزها بوضع برنامج وخطة عمل للمرحلة القادمة والتحرك بشكل منظم من أجل تحقيق أهداف واقعية قابلة للتحقيق وتمس المصالح الحيوية للعمال، فهل نطمح إلى تحقيق ذلك؟

في الوقت الذي بدأت فيه تتعافى نقابة العاملين في طيران الخليج وتأخذ دورها في الساحة النقابية بعد قرار الجمعية العمومية بتصحيح الأوضاع في مجلس الإدارة وعودة رئيس النقابة ونائبه إلى مواقعهم السابقة، بدأت تلوح في الأفق بوادر أزمة نقابية جديدة انعكست تداعياتها على مجمل الحركة النقابية ونقصد بها قرار عضو الأمانة العامة أحمد الخباز تقديم استقالته من مجلس إدارة نقابة عمال بابكو.

الشباب في الخليج والبحرين وتقاطع التحديات

• لقد اثبتت التجربة ان تعاطي كل دولة من دول مجلس التعاون مع المشاكل والتحديات التي تواجهها بشكل (منفرد) لم يساهم في ايجاد حلول (مستدامة) وخاصة ان لكل دول من دول المجلس امكانياتها ومواردها التي لو استغلت جماعيا وفق منظومة مشتركة لساهمت في حل الكثير من المشاكل ووفرت على دول المجلس الكثير من الجهد والموارد. ان الانخفاض الأخير في اسعار النفط يمثل احد التحديات الكبرى التي تواجه دول مجلس التعاون وخاصة فئة الشباب التي تشكل ثلثي المجتمعات الخليجية، حيث اطلقت جميع دول المجلس مبادرات لاصلاح سوق العمل وتوفير الوظائف للشباب العاطل وزيادة الانتاجية ومعالجة الخلل الناتج عن اعتماد النموذج الاقتصاد الريعي.

• ان شريحة الشباب تشكل ثروة (ديمغرافية) حقيقية لدول مجلس التعاون، وجب على الحكومات ومؤسسات المجتمع تأطيرها واستغلالها بالشكل الأنسب بما يتناسب مع توجهات وخطط التنمية في كل دولة. اليوم تعاني جميع دول مجلس التعاون من خطر (التطرف الديني) وما نتج عنه من ممارسات عنيفة وتدميرية داخل المجتمعات الخليجية بسبب تأصل ثقافة الكراهية والغاء الآخر، والانغلاق الفكري بسبب عدم الاستماع الى دعوات (تجديد الخطاب الديني) وجمود قنوات الحوار الأفقية بين قطاعات المجتمع المختلفة مما أدى الى عزلة مجموعات كبيرة من الشباب التي اصبحت تربة خصبة لتبني الأفكار والدعوات المتطرفة. •

في ظل تصاعد غير مسبوق للهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية الجامعة في بعض الأقطار العربية، جاءت اغلب الاستراتيجيات والخطط والبرامج الخاصة بتمكين الشباب في دول المجلس بصيغ تؤكد على أهمية العمل الوطني المشترك والعابر للهويات الفرعية.

• إن مستقبل وجود المجتمعات الخليجية؛ يرتبط أساسا بمدى القدرة على التغلب على هذه الصراعات وتحقيق التنمية المستدامة في كل المناطق وفي كل الجهات والاقاليم، مع إشراك كل الهويات الصغرى في اتخاذ القرارات. كما أن أية محاولة للإقصاء سوف تؤدي للصراع الذي يهدد مستقبل الدول الشابة نسبيا في الخليج العربي.

• ان تعامل بعض الجهات التنفيذية مع التحديات التي تواجه الشباب ووضع حلول منفصلة لها لم يساهم في حلحلة هذه المشاكل والتحديات خاصة وان اغلب الاستراتيجيات والخطط والسياسات لم تتعامل مع الشباب كفئة منفصلة عن المجتمع بل تعاطت معها كجزء من كل، فلم تغفل هذه الاستراتيجيات والخطط والسياسات وضع الحلول للتحديات والاشكالات العابرة للفئوية مثل قضايا البطالة، التطرف الديني، وغياب الشراكة المؤسساتية والمنظمة في اتخاذ القرار السياسي وادارة الثروة الوطنية. لهذا أؤكد ومن خلال هذه الورقة على اهمية ادماج في هياكل الدولة ومراكز اتخاذ القرار وعدم حصرها على بعض (البؤر الادارية) التي تأصل للعمل القطاعي والفئوي في التعامل مع الاشكالات والتحديات التي تواجه الشباب.

• في هذه الورقة سوف نأتي على بعض الاستراتيجيات والخطط في مملكة البحرين، والتي وضعت الاطار العام لطريقة تعاطي الدولة والمجتمع مع القضايا والتحديات التي تواجه الشباب. وهنا نؤكد ايضا على ضرورة إعادة الاعتبار للموارد البشرية الشابة والثقة بقدراتها ومبادراتها ومجهوداتها ووظائفها وأدوارها ومسؤولياتها الجديدة داخل المجتمع. من المهم اعتبار جميع وثائق الاستراتيجيات والخطط كموجه عام (ملزم) للدولة والمجتمع ، وأن تكون جميع المبادرات المدنية المتنوعة موجهة لخدمة هذه الاستراتيجيات والخطط وتساهم في بلورة مقترحات داعمة لبناء مؤسسات دائمة لتمثيل الشباب.

• من المهم جدا استثمار كل المبادرات والتراكمات الشبابية والمدنية التي ساهمت في تنظيم المؤسسات ذات العلاقة بالقطاع الشبابي والعمل على ربطها افقيا ورأسيا بالمؤسسات التي تتعامل مع قطاعات المجتمع الأخرى بهدف توسيع مساحة الحوار والتشاور حول المجالات المرتبطة بالشباب والعمل الجماعي، و التنصيص عليها في القوانين التنظيمية داخل الدولة.

الشباب البحريني في النصوص الدستورية والاستراتيجيات والخطط:

• ميثاق العمل الوطني: لقد جاءت وثيقة ميثاق العمل الوطني كوثيقة دستورية انتقالية في مملكة البحرين ، وتكمن اهميتها من خلال التوافق والاجماع الوطني الكبير التي تحظى به. لقد نص ميثاق العمل الوطني ومن خلال الفصل الأول، المقومات الأساسية للمجتمع، والفقرة السادسة تحديدا، على محورية الأسرة كونها اللبنة الأساسية للمجتمع، ودور الدولة في حفظ كيان الأسرة ورعاية الطفولة والأمومة والنشء.

• دستور مملكة البحرين: اكدت الفقرة (أ) من المادة الخامسة لدستور مملكة البحرين على دور الدولة في رعاية فئة الشباب ، واليوم هناك مطالبات شبابية بدسترة المؤسسات الناظمة للعمل الشبابي وحوكمتها بما يتلائم مع متطلبات العصر والتوجه العالمي بتمكين الشباب من خلال اصلاح المؤسسات الدستورية وموائمة القوانين

أحمد عبد الامير

المحلية بما يتناسب مع التشريعات الدولية.

• الاستراتيجية الوطنية للشباب: تعتبر الاستراتيجية الوطنية للشباب في البحرين احد المطالب الرئيسية للحركة الشبابية البحرينية منذ بدء عهد الاصلاح مطلع الألفية الجديدة. و بعد توقيع المؤسسة العامة للشباب والرياضة على اتفاقية اطلاق الاستراتيجية الوطنية للشباب بالشراكة مع برنامج الامم المتحدة الانمائي في عام 2004، شاركت الجموع الشبابية، وبمساهمة فاعلة من الجمعيات الشبابية والتنظيمات الشبابية التابعة للجمعيات السياسية في بناء وصياغة الاستراتيجية عبر تضمينها آرائهم وطموحاتهم وأفكارهم. واليوم يراوح تطبيق بعض بنود الاستراتيجية محله بسبب عدم جدية بعض المؤسسات في المساهمة في تنفيذ الاستراتيجية بشكل كامل واشراك الشباب البحريني في مراحل التنفيذ والرقابة والتقييم.

• رؤية البحرين الاقتصادية (2030) : لقد اكدت الرؤية الاقتصادية على دور الشباب من خلال المبادىء الثلاثة (الاستدامة، التنافسية، العدالة) والتي تشكل طوحات البحرين للعام 2030. وقد استطاعت البحرين ان تؤسس نموذجا رائدا في قطاع ريادة الأعمال حيث استطاع الكثير حيث تمكن الكثير من الشباب البحريني من تأسيس مشاريع تجارية وصناعية ساهمت بشكل كبير في رفد الاقتصاد الوطني وتنمية الابتكار والابداع.

• برنامج عمل الحكومة (2015-2018) : بعد اقرار التعديلات الدستورية في 3 مايو 2012م تمت إضافة المادة (46) إلى دستور مملكة البحرين و الصادر سنة 2002م و التي الزمت الوزارة فور تشكيلها و أدائها اليمين الدستورية أن تقدم برنامج عملها خلال ثلاثين يوما إلى مجلس النواب. برنامج عمل الحكومة يعتبر بمثابة – تعهد سياسي– حيث يجب فيه تحقيق التوازن بين الطموحات والإمكانات مع الالتزام بالواقعية وتفعيل المحاسبة الجادة إزاء أي تقصير و تهاون بالمسؤولية إتجاه الالتزام بتنفيذ البرنامج ضمن إطار زمني محدد.

• لقد افردت حكومة البحرين في برنامج عملها وتحت محور التنمية البشرية والخدمات الاجتماعية بندا لخص احتياجات الشباب وتنمية قدراتهم وتمكينهم حيث اكدت على اهمية تعزيز البنية التحتية الرياضية، والتحديث المستمر لمنهجية ادارة المراكز الشبابية، والعمل على اعداد وتطوير برامج شبابية نوعية، وترسيخ الهوية الوطنية وتعزيز الالشعور بالإنتماء، ورصد المواهب الواعدة في شتى المجالات، ووضع حملات تثقيفية وتوعوية لحماية الشباب، وانشاء 4 مراكز شبابية نموذجية في محافظات المملكة.

• مبادرة اصلاح سوق العمل : جاء القانون رقم (19) للعام 2006 والقانون رقم (57) لنفس العام واللذان ينصان على تأسيس هيئتين الأولى لتنظيم سوق العمل والثانية بإنشاء صندوق للعمل مؤسسا لإحدى أهم المبادرات الاقتصادية في تاريخ البحرين الحديث. على سبيل المثال فقد جاءت اهداف صندوق العمل مكملة لمبادىء الرؤية الاقتصادية والاستراتيجية الوطنية للشباب في الجانب الاقتصادي، رفع كفاءة العمال البحرينيين، وتوفير وظائف ذات دخل مجزي للمواطنين، ودعم المواطنين في تأسيس مشاريعهم الخاصة . وقد ساهمت هذه المبادرة بشكل كبير في تخفيض نسبة البطالة بين الشباب البحريني واستنهاض امكانياتهم من خلال دعمهم في مجال ريادة الأعمال وتطويرهم مهنيا. وقد جاءت استراتيجية تمكين (2015-2017) ومن خلال الهدف العاشر مؤكدة على دعم شريحة الشباب من خلال تشجيع ريادة الأعمال وتوفير البيئة الحاضنة لتأسيس المشاريع وتنميتها.

• تأسيس وزارة شؤون الشباب والرياضة : يعتبر تأسيس وزارة خاصة بالشباب من اهم المطالب التي جاءت بها الاستراتيجية الوطنية للشباب بهدف الارتقاء بالعمل الشبابي في البحرين والتنسيق بين القطاع الرسمي ومؤسسات المجتمع المدني العاملة في قطاع الشباب. ان اكبر التحديات التي تواجه العمل الشبابي في البحرين هو تعاطي اكثر من جهة رسمية مع قطاع الشباب، فلدينا المجلس الأعلى للشباب والرياضة مشرفا على الاتحادات الرياضية، ولدينا وزارة العمل والتنمية الاجتماعية مشرفة على المنظمات الأهلية الشبابية، ووزارة التربية والتعليم مشرفة على الحركة الكشفية، والآن جاءت وزارة شؤون

الشباب والرياضة والتي من المهم في تقديري الشخصي نقل جميع المسؤوليات الموكلة لمختلف المؤسسات الرسمية اليها. وعودة الى الاستراتيجية الوطنية للشباب من المهم التأسيس لهيئة استشارية شبابية منتخبة (برلمان الشباب) وتفعيلها ضمن هيكل وزارة شؤون الشباب والرياضة.

الشباب البحريني ومطلب التمكين واشكالية الاحتواء:

• فخلال الاجازة الصيفية للعام 2015م اطلقت المؤسسة العامة للشباب والرياضة 365 برنامجا في مجالات الرياضة، والمسرح، والعمل التطوعي، وتغطي 36 مركزا شبابيا وبمشاركة 24000 شاب وشابة. ودشنت كذلك المؤسسة العامة للشباب والرياضة النسخة السادسة من ((مدينة شباب 2030)) بالشراكة مع هيئة صندوق العمل «تمكين» ووفرت ((مدينة شباب 2030)) اكثر من 3000 فرصة تدريبية للشباب البحريني من الجنسين. واطلقت وزارة الداخلية يوم 26 يوليو 2015م النسخة السابعة من برنامج المعسكر الصيفي وسط مشاركة 1200 شاب وشابة تتراوح اعمارهم بين 12 عاما و17 عاما، وبدعم من هيئة صندوق العمل «تمكين» بقيمة 194 الف دينار بحريني وعدد من الشركاء وهم بنا غاز، بابكو، هيئة البحرين للثقافة، المجلس الأعلى للمرأة، معهد البحرين، شركة المنيوم البحرين، وغيرهم. حيث تم تفريغ 300 منتسب من كوادر وزارة الداخلية للقيام بواجبهم اتجاه شباب المعسكر والذي يحوي على 33 نشاطا وفعالية. وخلال الفترة الممتدة من 2 إلى 18 اغسطس 2015م دشن «مركز الموهوبين» التابع لوزارة التربية والتعليم برنامجا 17 برنامجا صيفيا موجهة إلى 80 من الموهوبين من مختلف المراحل الدراسية. وفي 16 اغسطس 2015م اطلقت «تمكين» بالشراكة مع وزارة شؤون الشباب والرياضة برنامج «ملهم» وهو جزء من مبادرة «مدينة الشباب» ويهدف لتشجيع طلبة المرحلة الثانوية والتي تتراوح اعمارهم بين 16–18 عاما وتعريفهم على ثقافة ريادة الأعمال واطلاق المشاريع التجارية وتطوير الذات في مكان العمل. و وكذلك دشنت وزارة التربية والتعليم 14 ناديا صيفيا في مقرات المدارس الحكومية ليستفيد منها 5000 طالب وطالبة.

• ان تنظيم هذه الأنشطة والمبادرات الشبابية يعتبر خطوة ممتازة في انخراط المؤسسات الرسمية في العمل الشبابي وتوفير فضاءات ليتمكن الشباب البحريني من افراغ طاقاتهم بشكل ايجابي خدمة لبلادهم. و لكن الإشكالية هنا تكمن في اضعاف دور مؤسسات المجتمع المدني العاملة في قطاع الشباب والتي تخضع قانونيا لوزارة التنمية الإجتماعية، حيث تعتمد هذه الوزارات بشكل رئيسي على كوادر اعضائها وعلى الدعم المادي والمعنوي المقدم لها من قبل وزارة التنمية الإجتماعية (توفر وزارة التنمية الإجتماعية مقرات خاصة للمنظمات الأهلية الشبابية البحرينية) وفعليا تنعدم فرص منافستها للمؤسسات الرسمية في استقطاب الشباب للإنخراط في برامجهم الصيفية بسبب قلة التمويل و ضعف التغطية الإعلامية ومنافسة المؤسسات الرسمية واعتماد العمل فيها على الكوادر المتطوعة وليس الإدارية المؤهلة. وهنا نؤكد على اهمية -إحياء- المبادرات التشاركية بين القطاعين العام والخاص من جهة والمنظمات الأهلية الشبابية من جهة اخرى، والعمل على إيجاد جهة رسمية موحدة للإشراف وتوجيه العمل الشبابي في البحرين.

الشباب البحريني بين النصوص الناظمة والتحديات القائمة:

• قانون الطفل البحريني (2012):

• لقد صدر قانون الطفل البحريني بعد ما يقارب العشرين عاما من مصادقة البحرين على اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بالطفل منذ أكثر من 19 عاماً، حيث انضمت البحرين إلى اتفاقية حقوق الطفل في 1991، وصادقت عليها بدون أي تحفظات في 13 فبراير 1992، ودخلت الإتفاقية حيّز النفاذ في مارس 1992. ومنذ ذلك الوقت بذلت البحرين جهوداً لتهيئة بيئة آمنة من خلال سنّ تشريعات لضمان تمتّع الأطفال بحياة آمنة ومستقبل مشرق.

• في تقديري الشخصي من المهم تحديد الفئات العمرية بأربع فئات وهي: الطفل (صفر–15 سنة) ، الناشئة (15–18 سنة)، الشباب (18–30 سنة)، الراشدين (فوق 30 سنة). ومن حيث المعاملة تعامل فئة الناشئة معاملة الطفل، في حين أن تحديد سن الشباب بين 18–30 سنة يجعلها متوافقة مع الاستراتيجية الوطنية للشباب.

• ان التعديل المقترح اعلاه يأتي إعمالا لمواد وأحكام وبنود الاتفاقات الدولية، وخصوصاً اتفاق الأمم المتحدة لحقوق الطفل، التي صادقت عليها مملكة البحرين وفقاً للمرسوم بقانون رقم 16 للسنة ،1999 التي حددت عمر الطفل الزمني من صفر عاماً حتى يبلغ من العمر الزمني 18 عاماً.

• يأتي هذا التعديل المقترح تفعيلا لما ورد في ميثاق العمل الوطني ودستور البلاد، الذي حدد صراحة الفئات الثلاث، وهي: الطفولة والنشئ والشباب.

الشباب البحريني بين النصوص الناظمة والتحديات القائمة:

• قانون مباشرة الحقوق السياسية (2002) : جاءت المادة الثانية من القانون محددة سن الانتخاب بعشرين عاما. ان خفض سنة الاقتراع من 21 عاما الى 20 عاما يعد مكسبا للحركة الشبابية في البحرين، ولكن الأصوات ما زالت تطالب بخفض سن الاقتراع الى 18 سنة (هناك دول مثل البرازيل والنمسا تعتمد سن 16 عاما للمشاركة في الانتخابات) والأهم من ذلك اصلاح النظام الانتخابي والانتقال من النظام الفردي الى النظام النسبي. ان اصلاح النظام الانتخابي وتحويل البلاد الى دائرة انتخابية واحدة مع اعتماد القائمة الوطنية سيساهم كثيرا في تمكين الشباب واعطاء الأولوية للشباب من قبل التنظيمات السياسية في البلاد ويساعد كثيرا في تجاوز حالة الاستقطاب الطائفي والمناطقي والعائلي المصاحب لكل استحقاق انتخابي.

أين يقع الشباب الخليجي في رؤى حكومات دول مجلس التعاون؟

• الاستراتيجية الوطنية لتمكين الشباب – دولة الامارات العربية المتحدة: تحت اشراف وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، والهيئة العامة لرعاية الشباب والرياضة، تعمل الامارات على انجاز الاستراتيجية الوطنية لتمكين الشباب والتي ستركز على (12) محورا استراتيجيا.

• وللعمل على انجاز هذه الاستراتيجية تم التأكيد على اهمية الاطلاع على تجارب الدول الأخرى في اعداد استراتيجياتها الخاصة بالشباب ووسائل تمكينهم، ولمنع حالة التضارب المؤسسي تم تحديد وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، والهيئة العامة لرعاية الشباب والرياضة كجهتان مسؤولتان عن تنفيذ الاستراتيجية.

• رؤية الامارات 2021: تهدف الرؤية لأن تكون دولة الإمارات ضمن أفضل دول العالم بحلول اليوبيل الذهبي للاتحاد. ولترجمة هذه الرؤية إلى واقع ملموس، تم تطوير الأجندة الوطنية، والتي تم تقسيمها إلى ستة محاور وطنية تمثل القطاعات الرئيسية التي سيتم التركيز عليها خلال السنوات المقبلة في العمل الحكومي.

• رؤية الامارات 2021 اكدت ومن خلال (الأجندة الوطنية) على تمكين الشباب من خلال تطوير نظام التعليم واصلاح سوق العمل والتأسيس لإقتصاد تنافسي قائم على المعرفة .

• ولتأكيد خطاها الثابتة اعلنت دولة الامارات العربية المتحدة عن اكبر عملية اصلاح اداري في تاريخ المنطقة عن طرق دمج وزارات وهيئات حكومية واستحداث اخرى، وتم تشكيل مجلس شباب الامارات كهيئة استشارية ويضم نخبة من شباب البلاد وترأسهم وزير دولة لشؤون الشباب لا تتجاوز 22 عاما.

• اللجنة الوطنية للشباب – سلطنة عمان (2011): في اكتوبر من العام 2011م صدر مرسوم سلطاني بتشكيل اللجنة الوطنية للشباب، وتتكون اللجنة من 28 عضوا.

• الخطة الخمسية التاسعة (2016–2020) لسلطنة عمان: تؤكد الخطة على موضوع تنويع مصادر الدخل وخاصة بعد الانخفاض الأخير في اسعار النفط مما زاد من التحديات الاقتصادية التي تواجه الشباب العماني، وبالتالي جاءت الخطة واضعة نصب عينيها مسألة التوطين واصلاح سوق العمل وتشجيع الشباب العماني في ولوج عالم ريادة الأعمال.

• رؤية قطر الوطنية 2030 : ترتكز رؤية قطر 2030 على اربع ركائز اساسية وهي: التنمية الاقتصادية، التنمية الاجتماعية، التنمية البيئية، التنمية البشرية. ويجدر بالذكر ان رؤية دولة قطر وضعت نصب عينيها الشباب في الركائز الأربعة مع التركيز على الشباب ضمن محور التنمية البشرية وتطوير التعليم.

• تقرير التنمية البشرية الثالث لدولة قطر: تعزيز قدرات الشباب القطري وادماج الشباب في عملية التنمية : ويعتبر هذا التقرير الصادر عن الأمانة العامة للتخطيط التنموي بدولة قطر اشمل تقرير عن فئة الشباب في دولة قطر. ان اكثر ما يميز هذا التقرير هو تعامله مع فئة الشباب كشرائح متعددة وليس ككتلة واحدة. وبالتالي واعتمادا على الاحصائيات استطاع هذا التقرير ان يلخص التحديات والصعوبات التي تواجه الشباب القطري ويقترح الحلول منطلقا من تحليل علاقة الشباب بقطاعات الاقتصاد، والتعليم، والصحة، والرياضة، والثقافة، والأمن العام، والتأكيد على محورية دور الشباب في تنفيذ رؤية قطر الوطنية 2030.

• الاستراتيجية الوطنية للشباب – المملكة العربية السعودية : تم تشكيل لجنة فنية استشارية لوضع استراتيجية وطنية للشباب في المملكة العربية السعودية برئاسة وزارة الاقتصاد والتخطيط وعضوية وزارات (الداخلية، التربية والتعليم، الثقافة والإعلام، الشؤون الاجتماعية، الصحة، العمل، والاتصالات وتقنية المعلومات)، والرئاسة العامة لرعاية الشباب، مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات، والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة.

وشملت الاستراتيجية ثمانية محاور، وهي: التعليم، والتدريب، والعمل، والصحة، والثقافة، والإعلام، والاتصالات، وتقنية المعلومات.

• برنامج التحول الوطني 2020 – المملكة العربية السعودية: هي الخطة الخماسية للمملكة العربية السعودية انشئت عام 2015. تتمحور أبرز ملامح برنامج التحول الوطني لقياس أداء الأجهزة الحكومية من خلال 551 مؤشر قياس، حول 17 مكوناً رئيساً. مشروع التحول الوطني موجه بشكل رئيسي الى فئة الشباب، هذه الفئة التي تشكل نسبة تتجاوز الستين بالمئة

• رؤية الكويت 2035: تتضمن خطة التنمية الخمسية رؤية دولة الكويت في عام 2035 ، والتي تهدف إلى تحول الكويت إلى مركز مالي وتجاري جاذب للاستثمار ، يقوم فيه القطاع الخاص بقيادة النشاط الاقتصادي ، وتزكى فيه روح المنافسة وترفع كفاءة الإنتاج في ظل جهاز دولة مؤسسي داعم ، وترسخ القيم وتحافظ على الهوية الاجتماعية وتحقق التنمية البشرية والتنمية المتوازنة ، وتوفر بنية أساسية ملائمة وتشريعات متطورة وبيئة أعمال مشجعة.

• لقد اكدت رؤية الكويت 2035 وتحت بند «سياسات التنمية البشرية والمجتمعية» على تمكين الشباب والمرأة في الكويت من خلال تطوير مخرجات التعليم ووضع برامج خاصة بالتمكين الاقتصادي تستنهض دور القطاع الخاص وبالتالي دور الشباب واصلاح سوق العمل بما يتوافق مع التحول الموعود في الرؤية الى اقتصاد حديث قائم على المعرفة والابداع والانتاجية.

فاطمة ابراهيم .. أيقونة المرأة السودانية

فهيمة درويش

رحلت عن الدنيا المناضلة السودانية والأممية فاطمة أحمد إبراهيم بعد صراع طويل مع المرض وتركت وراءها سيرة طويلة وتاريخ حافل بالنضال و التضحيات، فقد حققت للمرأة السودانية والشعب السوداني انجازات ومكاسب كثيرة، كانت امرأة عظيمة ومناضلة مقدامة، قادت المظاهرات وأضربت عن الطعام واعتقلت ومثلت أمام محاكم عسكرية، وينظر إليها السودانيون جميعا على أنها ايقونة المرأة السودانية التي لن تغادر ذكراها قلوبهم لأنها في نظرهم وعلى وجه الخصوص النساء السودانيات رمزاً و مفخرة لهن حيث دافعت عن كرامتهن و عزتهن وحقوقهن بكل المستويات و في كل المحافل .

شيوعية حتى النخاع وذات تأسيس فكري وسياسي وثقافي راسخ، كانت تقف مع الحق أينما كان حتى مع الذين يختلفون معها في التوجهات الفكرية السودانية، فاكتسبت ثقة واحترام كل المجتمع السوداني بكل شرائحه وفئاته وثقة الكثير من الأسر في طرحها لأنها كانت قريبة جداً من قضاياهم.

عاشت حياة عريضة ناضلت خلالها على مختلف الجهات وعرفت بقوة شخصيتها وثباتها في كل جبهات المعارك والمواقف التي خاضتها فكانت واضحه قوية في آراءها لاترضى بالمساومة. نعتها جميع المنظمات النسائية والاحزاب الشيوعية والتقدمية والديمقراطية المحلية و العربية والعالمية.

الفقيدة فاطمة أحمد أبراهيم ذات الوعي المبكر والصمود والشموخ والمواقف النبيلة والايمان بالقضية والتفاني من أجل إعلاء كلمة الحق ومن اجل التغيير الاجتماعي ثقافياً وسياسياً واقتصادياً ، من رائدات الحركة النسائية العالمية المناضلة التي صبرت وضحت وكافحت و لم تخشى ملاحقة النظام الديكتاتوري لها، بل واصلت جهودها في نشر الوعي لتنهض بالمرأة السودانية محلياً واقليمياً و فتحت دروباً كثيرة للنساء عبر نضالاتها ولم يحل القمع دون قولها الحق و الوقوف في وجه كل من حاول التلاعب بمكتسبات الشعب أو اسكات صوت المرأة، بل واصلت طريقها النضالي فجسدت وطبقت مع

رفيقاتها معاني النضال المشترك في الحياة العامة وفي العمل السياسي المباشر فكانت حاضرة للدفاع وتبني قضايا المستضعفين والفقراء والأطفال .

بدأ نضالها بأرضية صلبة وامتلاك منهج علمي مكّنها من القدرة على التحليل ومعرفة وتلمس المشاكل الحقيقية التي تعاني منها المرأة، فدفعت بالحركة النسائية السودانية، وبفضل جهودها وجهود رفيقاتها ومجمل الحركة الديمقراطية في السودان نالت الحركة النسائية ثقة وتأييد الحركة السياسية والنقابية، وأصبح للمرأة مواقعها في البرلمان والوزارات والمؤسسات الأكاديمية وفي الانتاج الزراعي والصناعي وفي القوات المسلحة وجهاز الشرطة و القضاء وفي الأحزاب و النقابات.

عملت على تشجيع المرأة والرجل على العمل معاً على قاعدة المساواة في حقوق المرأة والرجل المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة ، وشجعت المرأة والرجل على العمل سوياً لمواجهة كل أشكال التمييز ضد المرأة في التعليم وفي الرعاية الصحية والنفسية طوال مسار حياة المرأة كطفلة و بنت و زوجة وأم . وطالبت بتحديد سن الزواج ومنع الزواج الإجباري ومنع تعدد الزوجات وإلغاء قانون الطاعة. كما عملت على تشجيع الاستقلال الاقتصادي للمرأة ودورها في التنمية المستدامة ومحاربة الفقر والعوز، وتوفير فرص عمل متساوية في السوق والتجارة، كما جاهدت من أجل تحسين أوضاع المرأة العاملة ومساواتها بالرجل في فرص التأهيل والتدريب والترقي والحق في الأجر المتساوي للعمل المتساوي وحق الدخول في الخدمة المعاشية وحقها في عطلة الولادة مدفوعة الاجرة .

سيظل تاريخها الناصع نبراساً مضيئاً تتذكره الأجيال القادمة وستبقى ذكراها باقية في قلوب محبيها ورفاق دربها النضالي رمزاً ينير طريق الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية.

ماذا بعد محاربة الإرهاب في الوطن العربي؟!

جواد المرخي

حقيقة مؤلمة واضحة وضوح الشمس هي أن الجماهير العربية تعيش وضعاً سياسياً متأزماً، على امتداد المساحة العربية من المحيط إلى الخليج في الجوانب المختلفة السياسي منها والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحقوقي، حيث تتفاقم أزمة المجتمعات جراء تحجيمها وقمعها ومحاصرتها واختراقها بأفكار رجعية طائفية مذهبية مع ازدياد جحيم البطالة والفقر والهجرة.

ومن أكثر الظواهر مدعاة للرعب والخوف وقوع الوطن العربي في وحل انتشار الأفكار الإسلامية المتطرفة بأنواعها المختلفة خصوصاً بعد موجة التحرك الشبابي في الوطن العربي في عام 2011، وبروز القوى الدينية على الساحة السياسية بشعاراتها باسقاط الأنظمة العربية بقوة السلاح مثلما حصل في ليبيا وسوريا وتفاقم الإرهاب في بلدان عربية أخرى مثل العراق ولبنان واليمن وبعض دول الخليج العربي، وقوبل ذلك بموجة عنف والعنف المضاد جراء الخوف لبعض الدول العربية ولعدم الثقة بين أنظمة عربية وشعوبها، وبروز قوى إقليمية ودولية شجعت التطرف المذهبي والطائفي تحت شعار الصحوة الإسلامية وغسيل المخ بضرورة قيام الدول الإسلامية على غرار ما يحدث في تركيا وايران وانظمتها الإسلامية الأخرى.

في ظل مثل هذه الأوضاع مورست أنواع من الضغوط على القوى الوطنية الديمقراطية والقومية واليسارية من خلال محاضرتها في الشارع الذي أصبح، أكثر فأكثر، تحت تأثير التوجهات الفكرية للقوى الإسلامية بأنواعها. واليوم، وبعد مرور ستة أعوام على الهبة ما شهده العالم العربي في عام 2011، لم ينتج الوطن العربي إلا المزيد من الويلات والحروب والانقسامات الكبيرة ليس في صفوف القوى السياسية الشعبية والمجتمعية بل أيضاً في صفوف الأنظمة العربية، خصوصاً مع مشروع قيام كيانات إسلامية متطرفة بالقوة على غرار داعش والقاعدة والنصرة وغيرها من الحركات المنتشرة والممتدة من المحيط للخليج العربي، ونحن نعلم أن وراء ذلك تقف دول وجهات ساهمت في تمويل هذه القوى، ومدّتها بأشكال الدعم المباشر في كل الجوانب، ما أحدث معادلات سياسية جديدة في المنطقة محمية بشبكة من التحالفات الإقليمية والدولية.

لقد أغرى السقوط السريع والمباغت إلى حد ما لنظام زين العابدين في تونس، ومن ثم نظام حسني مبارك في مصر بعض القوى الدولية والإقليمية في توسيع دوائر نفوذها في المنطقة، عبر إشاعة الفوضى والتشجيع على عسكرة التحركات الشعبية ودفعها للعنف، ومدها بالمال والسلاح لتغيير خريطة المنطقة، وقد وجدت في القوى الإسلامية المتطرفة أدوات لها لتحقيق ذلك، على نحو ما رأيناه ونراه في سوريا والعراق واليمن ومصر، حيث سادت الشعارات والممارسات ذات الطابع العنصري والطائفي، وتعرضت الأقليات الدينية والإثنية إلى الاضطهاد والابادة والتهجي، واستعبدت المرأة في مناطق نفوذ الإسلام المتطرف وقد أصبحت تباع وتشتري كسبايا حرب وشعار المتاجرة بالنكاح أو جهاد النكاح، مع تدمير الآثار والمنجزات الحضارية، وحرقت المكتبات ومراكز البحث العلمي.

وبعد أن استفحل الخطر وأصبح يطال الجميع دون استثناء، تقوم الدول العربية على محاربة القوى الإرهابية مدعومة من دول أوربية وامريكا وروسيا والصين، ما يطرح أسئلة مهمة عما إذا كانت المعركة ضد الإرهاب، ستفتح الأبواب لكي نشهد تطوراً في المجال الديمقراطي والحقوقي في إطار الاعتراف بالمواطنة، وهل سوف تشاع أفكار التعددية السياسية والمشاركة الشعبية في المجالات السياسية والاقتصادية من خلال توسيع صلاحيات البرلمانات العربية، ووقف التضييقات على القوى الوطنية والديمقراطية والقومية الفاعلة ليصبح في الوطن العربي تنوع وطني قد يحجم دور وأفكار القوى المتطرفة.

وهل سوف يقف العنف المضاد كي تسود في الوطن العربي روح الثقة بدلاً من الخوف من الشعوب العربية وقواها الوطنية والديمقراطية، ويجري الاستفادة من الدروس البليغة حول الأسباب التي أدت إلى الانفجارات الواسعة التي شهدناها قبل سنوات، بسبب الهيمنة على الثروات وشيوع الفساد، وترك الفتات للشعوب العربية التي ازدادت فقراً وبؤساً، وفقدت الكثير من المكتسبات الاجتماعية التي نالتها بتضحياتها عبر مراحل زمنية طويلة.

نعم، تبرز هذه الأسئلة امام الأنظمة العربية التي هي اليوم في مقدمة محاربة الإرهاب، التي لا يخفى عليها بأن المنطلق الحقيقي لمحاربة الإرهاب والتطرف يكمن أولاً في تجفيف منابع الفكر الطائفي من مدارس وقنوات وصحف، ويكمن ايضاً في محاربة الفقر والعوز والبطالة مع إشاعة العدالة الاجتماعية والقضاء على مظاهر الفساد المالي والإداري، وإرساء القانون من خلال فصل السلطات، وأن يطبق القانون على الجميع دون تمييز أو محاباة.

«الإسلام هو الحل»: مخاتلة الشعار وفشل المشروع

د. انتصار البناء

أحد أدوات قراءة مشروع تيار الإسلام السياسي هي تحليل خطابه. وهذا يستدعي قراءة أدبيات الأحزاب السياسية ومصنفات منظريها وخطب قادتها السياسيين وكتابات ممثليها الثقافيين. ولكننا هنا سنكتفي فقط بمحاولة تحليل شعار «الإسلام هو الحل» الذي راج في ثمانيات القرن الماضي وصار أحد الأختام المعتمدة لكثير من الأحزاب وخصوصا أحزاب جماعات الإخوان المسلمين. وقد رفعت جماعة الإخوان المسلمين هذا الشعار في إحدى دورات الانتخابات البرلمانية المصرية، ثم تمَّ تحويل الشعار للقضاء للحكم في قانونية استخدامه في الحملات الانتخابية والترويج الدعائي المصاحب لها. وقد نجحت الجماعة في الحصول على حكم قضائي يجيز استخدام الشعار استنادا إلى المادة الثانية من الدستور المصري التي تقر بأن الإسلام هو دين الدولة الرسمي وهو المصدر الرئيس للتشريع. وأغلب المقولات المؤسسة لهذا الشعار الواردة في هذا المقال مستمدة من مجموعة مقالات الدكتور مصطفى مشهور المرشد السابق لجماعة الإخوان في مصر. وكتاب هل الإسلام هو الحل؟ للدكتور محمد عمارة أحد أهم منظري الجماعة.

والإشكالية الأولى التي يطرحها الشعار هو استحضار الطرف الغائب من الشعار، وهو عنصر المشكلة التي يتصدر الشعار حلاً لها. ومن خلال أطروحات منظري هذا التيار فإن تشخيصهم لمشكلات الأمة الجوهرية التي سببت الفقر والتخلف والتراجع الحضاري، هي مشكلة الاستعمار الذي جثم على صدور المسلمين لأكثر من مائتي عام جالباً معه تياراته الفكرية ومذاهبه الإديولوجية وأنماط سلوكه الاجتماعي المخالفة للإسلام. والاستعمار إن رحل في نظر هؤلاء فإنه خلَف وراءه أنظمة حاكمة سارت على نهجه واستبدلت التعاليم الإسلامية بمذاهب الدول الاستعمارية وتياراتها الفكرية مما أغرق الأمة، حسب وصفهم، بالضلالة والجهل وحجَّم مكانة الإسلام ودور الشريعة إلى المساجد والخلوات والصلوات وقراءة القرآن فقط. في الوقت الذي يصف منظرو تيار الإسلام السياسي الإسلام بأنه دين ودنيا، شريعة وسياسة وبأنه الدين الوحيد القادر على ضبط كل مناحي حياة البشر.

والخلل المنهجي الذي يؤدي إليه هذا الطرح أن مشكلات أمة كبيرة ومعقدة مثل الأمة العربية الإسلامية لا يمكن اختزالها في مشكلة واحدة أو بضع مشكلات محدودة. بالتالي اقتراح حل واحد فقط، فضلا عن أن تلك المشكلات هي مشكلات ماضوية تتعلق بحقبة قد زالت وزالت آثارها وتدفقت على الشعوب مشكلات جديدة لها علاقة بالسياسات الداخلية والإقليمية ومشكلات الاقتصاد والتعليم والتنمية والظواهر الاجتماعية المتغيرة. وتلك التحديات لا يمكن اختزالها في الاستعمار أو أنظمة الحكم.

مشكلة أخرى يستثيرها الشعار هي العلاقة مع الآخر، والموقف من المنتج المعرفي الكوني. فهذا العالم يقوم على مد شبكات العلاقات والتواصل مع الآخر والتكامل معه، ولا تستكفي أمة فيه بنفسها بالقطيعة مع الآخرين. ومن جهة أخرى فإن الأمة العربية الإسلامية في تاريخها الحاضر لم تنتج شيئا يذكر في المجال المعرفي الإنساني، وهي ليست إلا مستقبلة ومستوردة للمنتج الفكري والمادي. صحيح أن كثيراً من منظري تيار الإسلام السياسي، مثل سيد قطب، يرى أنه يمكن الاستفادة من تناج الحضارة الغربية المادي ونبذ المنتج الفكري، لكن المدركين لعمليات التطور الحضاري يدركون جيدا أن النتاج المادي ليس إلا انعكاسا لفلسفات فكرية ورؤى حضارية دفعت المفكرين لتحفيز المخترعين على السير في أثر تلك الفلسفات. ونضرب على ذلك مثلا: المنتج المادي لوسائل الاتصال. فهي انعكاس مادي لتصورات الثقافة الغربية حول تحول العالم إلى قرية صغيرة وتلاشي الحدود التقليدية بين الدول وسقوط قوانين المسافات والتواصل البشري واتساع رقعة الحريات وتلاشي مساحة الخصوصيات، وغير ذلك مما تُوظفه الحضارة الغربية فيما يخدم طموحاتها ومشاريعها الخاصة.

وبتتبع ملامح المشروع السياسي الذي يطرحه كُتَّاب تيار الإسلام السياسي حول تصوراتهم لشكل الدولة ومؤسساتها وقوانينها التي ستحل مشكلة معالم (الأنظمة الحالية) التي سارت على نهج الاستعمار واتبعت المناهج الغربية، فإنه طرح لا جديد فيه غير استبدال بعض الصيغ. فتصورات مؤسسات الدولة التي طرحها د. محمد عماره في كتابه: «هل الإسلام هو الحل» لا تختلف عن الهيكلية الحالية من مؤسسات للقضاء والرقابة والتشريع والمؤسسات التنفيذية. حتى ما اقترحه من مؤسسات اجتهادية لا تقدم جديداً عن الإدارات التطويرية الموجودة في كافة المؤسسات الحالية. ما يعني أن المنتج الفكري لهذا التيار لم يقدم لحد الآن تصورات جديدة أو طرحاً مغايراً عما هو معمول به واقعا في بلداننا العربية أو باقي دول العالم.

ولكن تصورات تيار الإسلام السياسي لشكل الدولة ومؤسساتها يسيطر عليه القائمون عليها من (الدعاة). فهم حسب تعبيرهم، المؤهلون لحمل الرسالة وتبليغها ولهداية الناس وحكمهم. وصفات المتصدي لكل مؤسسة يشترط أن يحوز على منحيين من الصفات: الأول التأهيل الشرعي والثاني التأهيل الفني. أما في حال الاحتياج للـ(آخر) غير المسلم فإنه يكون في نطاق احتياجه فقط. ويفهم من هذا الطرح أن دور الأقليات من غير المسلمين دور ثانوي ومن منطق الاحتياج فقط. بينما المشروع السياسي الجديد للدولة هو مشروع (الدعاة). مما يعطي الدعاة صفة الوصاية على باقي المكونات. الأمر الذي يحتاج إلى تفسير مفهوم الدعاة في ذاته. ومن هو الداعية؟ ومن الذي تصدق عليه صفات الداعية؟ وما دوره في الدولة؟ وبأي صفة يتميز عن الآخرين؟ وما الرؤية الحقيقية للآخر داخل الوطن ودوره في الإسهام في بناء الوطن وتحديثه. سواء من غير المسلمين، أو من المسلمين من غير (الدعاة). إن اقتصار الهيمنة على الدولة على (الدعاة) فقط، هو امتداد للإشكالية السابقة المرتبطة برفض التيارات الفكرية الأخرى والأطروحات الأخرى غير الطرح الشرعي التي صنفها تيار الإسلام السياسي أنها (المشكلة)، وأن (الحل) لها هو (الإسلام). إنها إشكالية رفض الآخر ورفض أطروحات الآخرين.

وتقتضي عملية تحليل الخطاب السياسي الثقافي لتيار الإسلام السياسي وخصوصا شعار «الإسلام هو الحل» وقفات أطول ومساحة أكبر. غير أن أخطر مشكلة يُوّلدها الحل الإسلامي استنادا إلى تصورات منظريه السابقة هي تعميق تعطيل الفعل البشري المسلم. فالإسلام هو منتج إلهي هبط على المسلمين من السماء ليس لهم فضل في صياغته ولا اجتهاد لهم في بنائه وتطويره ولا ثمة عمل فكري اقتضاه منهم ولا دراسات استدعاها إنتاج الدين. على عكس باقي التيارات الثقافية التي يحاربونها ويصنفونها مشكلات سببت تخلف المسلمين وتأخرهم. إنها منتجات بشرية مثل الشيوعية والرأسمالية والفرويدية والوجودية و... وقد استدعت من مُنظريها قراءة الموروث العالمي وتحليله ودخل مفكرو كل تيار في جدال ونقاش وانقسامات وتطويرات للمقولات الرئيسة والفرعية لكل فلسفة أو اتجاه فكري. وساهموا في تطور البشرية لفترة والإجابة عن الكثير من أسئلتها وخلق شعور بالتوازن عند مريديها لفترات. ثم بعد أن قضت زمنها الافتراضي ككل منتج بشري توارت لتفسح المجال لفكرة جديدة ولفلسفة أكثر تطورا.

وهذا ما لا ينطبق على الإسلام كمنتج إلهي مطلق ومقدس لا تمسه يد البشر إلا بحذر ولا يخوض فيه أحد إلا وناله ما يناله ممن نصبوا أنفسهم سدنة الدين. بالتالي فإن العرب والمسلمين، وفق تصورات أطروحة الإسلام هو الحل، ليس لهم فضل على البشرية إلا نقل هذا الدين الذي هبط عليهم من السماء منحة من الله. ليكونوا شهداء على الناس وأوصياء عليهم يعلمونهم الدين ويقودونهم إلى، ما يرون أنه، طريق الرشاد.

من خلال التحليل المختصر السابق والمنقول عن مقولات تيار الإسلام السياسي ذاته يمكننا أن نشكك في حقيقة وجود مشروع حضاري حقيقي مكتمل المعالم عند الأحزاب السياسية الإسلامية، وأن سقوط تجربتهم في مصر، وفشل التجربة في تونس. وعجز أحزابهم وشخصياتهم عن تحقيق شيء في أي مرحلة سابقة، ليس بسبب التضييق الذي تعاني منه كل الأحزاب السياسية. بل لأن أحزاب تيار الإسلام السياسي، شأنها شأن مختلف الأحزاب لم تتجاوز مرحلة الشعار في أدبياتها وفي حراكها السياسي، وأنها لا تقف على أرضية طرح بديل للوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي العربي الراهن.

عبد الحسين عبد الرضا وعظمة البساطة

عصمت الموسوي

جاء الفنان الكوميدي الراحل عبد الحسين عبد الرضا من اسرة فكاهية اشتهرت بالظُرف، بيد أن هناك عدداً من العوامل صنعت نجومية فارس الفن الخليجي الذي غادرنا الشهر الماضي بعد رحلة طويلة من العطاء والابداع الفني امتدت على مدار خمسين عاما، ويمكن استعراضها في التالي:

الكاتبة في لقاء صحفي مع الفنان الراحل

امتهن عبد الرضا المهنة التي يعشقها ويجيدها وتتسق مع هواه وميله الأصلي بعد ان ترك عالم الوظيفة الحكومية الرتيبة وافقها المحدود.

لم يكتف عبد الرضا بالموهبة وحدها بل اجتهد وعمل طويلا ممثلاً وكاتباً درامياً ومسرحياً ومخرجاً ومنتجاً ومغنياً، ويقاس المتميزون والمبدعون في زمننا بعدد ساعات العمل التي ينجزونها وليس بالاكتفاء بالموهبة وحدها. 100 ألف ساعة عمل من الخلق والتجريب والتدريب والممارسة المستمرة هي ما يحتاجها المرء كي يحقق الفرادة والتميز كما تشير أغلب الدراسات والأبحاث .

وُجد عبد الحسين عبد الرضا الفنان الشمولي في الزمان الملائم، إذ لم تكن أعماله الفنية سوى تجسيدا واقعيا وحيا لكل الوقائع التي كان شاهداً عليها، نما وترعرع في الكويت وشهد الفقر والرخاء، ورأى التناقضات التي صاحبت مرحلة التحولات وما نجم عنها من تغيرات اجتماعية وسياسية، استفاد من اتساع حرية التعبير ذات السقف الأعلى في الكويت قياسا بالخليج فاستعرض واقع بلده بكل جرأة وجسارة كما لم يفعل أحد قبله متحديا الكثير من المحظورات، تفتح وعيه على كويت الستينات، البلد الذي تبنى الحكم الديموقراطي وأنجز الدستور وشرع في بناء وطن الحريات والعدالة والكرامة ،أليس الحاكم الكويتي هو أول حاكم عربي يتنازل عن صلاحياته السياسية اللامحدودة السائدة وقتها ويمنح جزءا منها لشعبه ويسمح بالتشارك في الحكم متخلياً عن التقاليد الراسخة والأعراف القبلية المتجذرة في التفرد بالحكم؟

عاش عبد الحسين عبد الرضا أيضا في المكان الصحيح وضمن بيئة تمكينية سياسية واجتماعية وعائلية وفنية أسهمت في تعظيم نجوميته، وثمة سؤال يطرحه البعض: هل كان بالإمكان أن يخرج فنان مبدع ك عبد الحسين عبد الرضا في أي بلد خليجي آخر؟ أليست الكويت في ذلك الوقت كانت رائدة النهضة التعليمية والثقافية وفي زمن أوج الحركة المسرحية والفنية، مستقطبة العقول والخبرات العربية والغربية في شتى المجالات ؟

اختار عبد الحسين عبد الرضا في مطلع حياته الفنية وفي أبرز أعماله القيام بدور الإنسان البسيط المطحون والذي يقع في أدنى درجات المجتمع اجتماعيا ومهنيا، الناطور والفراش والعامل والصبي، ومن هذه المواقع سلطّ الضوء عبد الرضا على مشكلات مجتمعه، غاص وتعمق فيها وأبرز الإخفاقات السياسية والاجتماعية في التعاطي معها،وعبد الحسين هو أول من عرّفنا بمشاكل عديمي الجنسية «البدون» على سبيل المثال حين كان هذا الاشكال المجتمعي والسياسي من المسكوت عنه كويتيا وخليجياً، انتقد وسخر من تلك الرغبة المحمومة في الثراء السريع لدى جيل ما بعد تثمين الأراضي في الكويت كما في مسلسل "درب الزلق» وهواميز سوق المناخ، نقلنا إلى عالم السياح العرب في لندن وانتقد مراهقة الرجال في الخمسين، استعرض فترة غزو النظام العراقي السابق في قالب درامي كوميدي ساحر في مسرحية «سيف العرب» والتي تسببت في محاولة اغتياله لاحقاً.

عمل عبد الرضا مع مجموعة من الممثلين والمخرجين وكتاب النصوص المبدعين، وعزّزت اللهجة الكويتية المحببة خليجيا وعربيا في انتشار أعماله على نطاق واسع، قد كان عبد الرضا لكل تلك الأسباب إضافة نوعية للفن الكويتي والخليجي، وأحسب أن تكريمه بإطلاق اسمه على أحد المسارح تعد خطوة متأخرة قياسا بمكانته ومسيرته الفنية الممتدة على مدى خمسين عاما.

امتلك القلوب وترددت كلماته وجمله في كل بيت خليجي، التقط بذكاء وخيال وجرأة استثنائية زوايا الهزل في حياتنا الخليجية وأضاءها وجعلها جزءاً من قاموسنا الفكاهي، ترك لنا ابن النوخذة والذي عارضت والدته دخوله حقل التمثيل زاداً تراثياً كوميدياً خليجياً رائعا يصعب نسيانه، وقد كنا ولازلنا نلوذ بعبد الحسين عبد الرضا كلما ازدادت قسوة الأيام والظروف كي يمنحنا بعضاً من السلوى والمتعة والنسيان.

البعثُ الثَّاني:

ملاكُ التاريخِ الذي يأتي ولا يأتي «1-2»

هشام عقيل

تتعدد الحركات الاجتماعية اليوم التي لا تمت بصلة للصراع الطبقي بشكله المباشر والواضح كما كان في القرن الماضي؛ فأصبحت هناك صراعات أخرى تشكل المحور الطاغي في الصراع الذي تقوده المجموعات العرقية، والجندرية، والجنسانية، والبيئية، والثقافية، والطلابية، والدينية إلخ.. وهذا أكثر وضوحاً في العالم الغربي عما هو في بلداننا.

بينما تزداد هذه الحركات نمواً واتساعاً، جاذبة أكثر عدد من المؤيدين، يتناقص حجم الطبقة العاملة ومكانها في المجتمعات الرأسمالية بعمومها (حيث يصل حجم الطبقة العاملة إلى تقريبا 18٪ فقط من القوى العاملة). وبما إن الحركة الشيوعية هي هي حركة الطبقة العاملة يذهب الكثيرون إلى الاستنتاج القائل بأن إذا كانت الصراعات الطبقية لا تشكل المحور الرئيسي للصراع في المجتمعات المتقدمة والمتأخرة اليوم فإن هذا يعني، ومن الضروري، أن يستقيل الحزب الشيوعي من دوره التاريخي في تمثيل الطبقة العاملة، ويغدو حزباً يسارياً متأصلاً في موجة هذه الحركات؛ وهذا هو الحال في المنظمات اليسارية الغربية (ومن ضمنها الأحزاب الشيوعية) وأحزابنا العربية.

في الواقع، يتزامن صعود حركات هذه المجموعات، التي وجدت الحركات اليسارية نفسها ضمنها، بصعود حركات يمينية متطرفة، وفاشية، ودينية، وعنصرية، وشوفينية؛ وتزداد المواجهة بين الحركتين يوماً بعد يوم. في إحتدام المواجهة ما بين طرفين لا يمثلان، ظاهرياً، هوية طبقية معينة وقف الشيوعيون واليساريون مع القوى المناهضة للفاشية واليمينية المتطرفة، من دون أي تعبير نظري لذلك سوى التعبير الأخلاقي: من أجل احترام الإنسان وحقوقه إلخ، أو بإختصار: تعبير أخلاقي يمثل ردة فعل لما يقوم به الطرف النقيض. في الواقع الفعلي، إذن، كلما تزداد هذه الحركات في صراعها، وتشكيل محور الصراع الذي يركز عليه أغلب الناس اليوم، يجد الشيوعيون أهمية أقل للـ"عمل الشيوعي" وللشيوعية نفسها.. بما أنها لا "تعبر" عن الصراعات الدائرة اليوم.

بهذا المعنى تواجه الحركة الشيوعية اليوم أزمتين: أزمتها هي (النظرية والسياسية)، وأزمة الواقع الفعلي. ومع ذلك لا تريد الاعتراف بذلك؛ فتصف نفسها ضد الحركات اليمينية والدينية دون أي تفسير أو تحليل، غير أن "يجب الاصطفاف ضدها" بشكل "أخلاقي". وتتعامل مع نفسها (وحلفائها) وأعداءها بمثل "المفاهيم" الكلاسيكية للصراع ما بين اليسار واليمين أو ما بين "الثورة" و"الثورة المضاد" – حتى أن تنبأ بعض اليساريين أن أمريكا ستتحول إلى نازية مع صعود ترامب! لا تتجاوز، إذن، الحركة الشيوعية إطارها الكلاسيكي في فهم "الصراعات الطبقية" و"الصراعات اللاطبقية"، وتحصر نفسها في مفهومها الضيق للتحالفات الطبقية، وتعلن لنفسها بكل جرأة: كلما تضائل الصراع الطبقي العمالي (وتمثله الضيق في الصراع من أجل الأجور وحسب.. ووجودها المحدود كطبقة في عالمنا المعاصر) يتضائل العمل الشيوعي في المقابل؛ بما أن الظرف السلبي للطبقة السلبية غير متوفر لعملية النفي. الواقع أيضاً أن الحركة الشيوعية اليوم لا تواجه أزماتها وهي في أوج قوتها، بل هي منهارة كلياً ومحطمة بالكامل، أو قُل: أزمتها هي هي إنهيارها؛ بذلك لا تجد نفسها إلا في المواقع التبعية التي لا تشكل سوى محاولة في الحفاظ على ماء الوجه لتاريخها، في سوء قراءة الواقع عبر منظومتها الفكرية والسياسية المنتهية صلاحيتها.

نعم! هذه الشيوعية، هذه الماركسية.. عليها أن تستقيل. نعم! هؤلاء الشيوعيون، هؤلاء الماركسيون.. عليهم أن يستقيلوا.

لكن.. أيمكن أن تكون هناك حركة شيوعية من نوع جديد؟ حركة شيوعية ديموقراطية جديدة؟ تبدأ من البداية نفسها؟

هذا ممكن إذا فهمنا واقع القوى الاجتماعية المحركة اليوم، وواقع التحالفات القائمة على التحالفات الطبقية والتحالفات الاجتماعية التي لا تتعلق بالصراع الطبقي. في الحقيقة هذه الحركات الاجتماعية الناشئة: الحركات النسوية، والمناهضة للعنصرية، والطلابية، والثقافية، والاثنو- ثقافية، ومنظمات الدفاع عن البيئة، ومجتمع الميمLGBT ، وغيرها لا تعرف محتواها السياسي، أيّ أنها، كحركات مستقلة بذاتها، ليس لها موقعاً سياسياً أو قل: لا تعرف موقعها في السياسة، بحجة أنها حركات اجتماعية بحتة؛ وهذا صحيح من حيث طبيعتها. إذا بقت هذه الحركات بمفردها، ملتفة على ذاتها، فإنها ستفقد، عاجلاً أم آجلاً، دورها كقوى اجتماعية وستتحول إلى مجرد مجموعة من الناس المتذمرين يريدون إصلاح أوضاعهم الاجتماعية لا أكثر أو أقل

(كما نجد عند منظمات الدفاع عن البيئة أو الحركات النسوية الحديثة).

إذا جمعت هذه الحركات، بحد ذاتها، وفي ذاتها، قرب بعضها البعض سيكون الأمر بالضبط مثلما لو وضع المرء آلات موسيقية: الكمان، والكونترباس، والتشيلو، والطبول، والبيانو، والترومبت، والأوبوا، إلخ.. قرب بعضها البعض؛ من دون أي هارموني، أو إطار موسيقي، يسمح للأصوات الموسيقية أن تتركب وتوجد بشكل متعدد وتراكبي متسق ومتناسق؛ ستكون مجرد أصوات تتداخل خالية من أي معنى بنائي. لا يمكن لكمان واحد أن يعطيك أوركسترا بأكملها؛ ولا يمكن لآلات مجتمعة في كل كامل أن تعطيك موسيقى متراكبة ومتناسقة من دون قائد ومؤلف. كل آلة طبعاً لها وجودها المستقل في ذاتها، وتنتج صوتاً مميزاً بحد ذاته.. ويمكن استعمالها لأغراض شتى؛ لكن تبقى الحقيقة أن معناها سيضيع من دون وجودها التركيبي، والتراكبي، والمجمع بالآلات الأخرى؛ فبنيتها الإطارية هي التي تمنحها محتواها الموسيقي.

إذا تمكنا من رؤية هذه الحركات الاجتماعية في ضوء ما قلناه آنفاً؛ سنرى أن الوضع الراهن لهذه الحركات، بوجودها في ذاتها – رغم أن لها محتواها الخاص ومعناها الخاص واستقلالها الهوياتي، هي أنها موجودة بشكل متفرق رغم أنها تجتمع أحياناً ببعضها البعض.. لكن لا يجمعها "إسمنت" يلصقها ببعضها البعض؛ إنها تماماً مفقودة من أي محتوى– غير محتواها هي، أعني: أنها مفقودة تماماً من أي محتوى سياسي.. لأنها ليس بإمكانها أن تعطي لنفسها هذا المحتوى السياسي، أو قل: لأنها ليس في الموقع الذي يسمح لها ذلك. طبعاً في حالة القوى الاجتماعية التي لها المصلحة في التغيير مؤلفها لن يكون "طبقة" أو "إله" أو "عملية ديالكتيكية"؛ بل المؤلف الذي يسطر سطور سيرورة الثورة الاجتماعية هو "الصراع الطبقي" نفسه.. وقائدها هو الذي يمكن أن يعطي الطبقات الاجتماعية، والفئات الاجتماعية، والحركات الاجتماعية الأخرى محتواها في الصراع الطبقي، أيّ محتواها في السياسة. الآن، ولسخرية القدر، فقط يمكن لبقايا الأحزاب الشيوعية البائدة أن تعطي اليوم هذه الحركات الاجتماعية محتواها السياسي، أعني محتواها في السياسة، لأن وحدها تتموقع في موقعها التاريخي اليوم، أو لأن وحدها التي بإمكانها أن تفهم، أو تعطي، المحتوى السياسي لأن وحدها تفهم، أو يمكنها أن تفهم، الصراع الطبقي.

هنا يمكننا نقيم الحد: إذا كانت هذه الحركات الاجتماعية "الهامشية" (بما أنها تعبر دائماً عن ما يسميه غرامشي، وغايتري سبيفاك استخدمت هذا المفهوم بشكل ممتاز، بالـ "هامشية أو "لهامشي") لا تدخل بشكل مباشر في "الصراع الطبقي" ولا تجد لنفسها "هوية" طبقية، فإن هذا لا يعني بتاتاً أنها لا تتحدد، في اللحظة الأخيرة، بحركة الصراع الطبقي. إنها دائماً أحد، حتى وإن كانت جاهلة بذلك؛ بما أن موقعها لا يسمح لها هذا الإدراك، آثار الصراع الطبقي.. في اللحظة الأخيرة. هذا يعني بالتحديد أن ممارستها الاجتماعية هي ليست ممارسة، بطبيعتها، طبقية؛ ولكن لا بد منها إدراك الممارسة السياسية في محتواها الكلي، كي تمنح لموضوعها الاجتماعي مضموناً سياسياً، ولتمنح موضوعها السياسي (الذي يجب، في الحقيقة، أن يُمنح لها) مضموناً اجتماعياً.

قلنا: وحدها الأحزاب الشيوعية يمكنها أن تضفي هذا المحتوى "السياسي".. لكن لا يمكن أن يحصل ذلك دون أن تكون هذه الأحزاب منظمات شيوعية ديموقراطية جديدة.. منظمات تدرك دورها في التحالف الطبقي وغير الطبقي؛ إن تبدأ من الهامش، وكل الهامشيين الذين يفقدون كل تمثيل سياسي لوجودهم، نحو المركز. لن يحدث ذلك أولاً من دون أن يفكر بعض الأفراد المتبقين كعناصر شيوعية، في الأحزاب اليسارية المتعلقة بماضيها، طريقها نحو البعث الثاني للحزب الشيوعي. مثلما كان يفكر القديس بولس البعث الثاني للمسيح حين تفرق الرسل الاثني عشر بعد صلبه؛ البعث الثاني الذي سيبدأ في مكان غير مقرر، الذي عليه– كحدث– أن يتحقق عبر كونية تنظيمية (ما بين اليهود والعموم).. لكن ما الذي سيحقق هذا البعث الثاني غير الكنيسة– المنظمة الطليعية من أجل الفرح الكوني؟ كان على القديس بولس أن يبدأ من الهامش، من العموم؛ وكان عليه أن يبدأ في فراغه ليفكر طريقه نحو المسيح. وعلى الحزب الشيوعي، أيضاً، أن يكون مثل أمير ماكيافيلي؛ مجهول، من دون أصل، من لا مكان، من فراغه بحد ذاته يخرج ليحقق الحل التاريخي، عليه – مرة أخرى– أن يجمع كل الإيطاليين نحو الوحدة المطلقة للأمة الإيطالية. ولهذا أطلق غرامشي على الحزب الشيوعي مسمى "الأمير الجديد".

إن الوضع الراهن لهذه الحركات، بوجودها في ذاتها رغم أن لها محتواها الخاص ومعناها الخاص واستقلالها الهوياتي

شبحها ما زال يطارد الرأسمالية

الماركسية بين الأمس واليوم – ٩

ما هو الجدل (الديالكتيك)؟

يُعَرِف تروتسكي، في مقاله الصغير اللامع أ ب المادية التاريخية على النحو التالي: "إن الجَدَل ليس هو خيال ولا هو غموض، بل هو علم أشكال تفكيرنا إلى درجة أنهُ ليس محصوراً في المشاكل اليومية في الحياة وإنما يُحاول التوَصل إلى فهم العمليات الطويلة المُعَقَّدة. ويحمل الجَدَل والمنطق الصُوري علاقة شبيه بالعلاقة بين الرياضيات العُليا والرياضيات الدُنيا."

ترجمة:
غريب عوض

بقلم: ألان وودز Alan Woods

إن مُزاوجة الاسلوب الجدلي بالمادية يمُدُنا بأداةٌ تحليلية قوية جداً. ولكن ما هو الجَدَل؟ ولضيق المساحة هُنا، إنهُ من المُستحيل توضيح جميع قوانين الجَدَل التي ابتكرها هيغل وصححها ماركس. لقد حاولت أن أقوم بهذا في موقع آخر، في العقل والتَمَرُد: الفلسفة الماركسية والعلوم الحديثة، طباعة دار نشر Wellred Books. في أسطرٌ قليلة أستطيع أن أقدم لمحات موجزة فقط لموجزات.

وصفه أنجلز في كِتابهِ الرد على دُهرنغ على النحو التالي: "إن الجَدَل ببساطة هو علم القوانين العامة لحركة وتطوّر الطبيعة والمجتمع البشري والفكر." كما يُوجز أنجلز أيضاً في كتاب جَدَل الطبيعة القوانين الرئيسة للجَدَل:

قانون تحويل الكمية إلى نوعية. ب) قانون صِراع وَوِحدة الأضداد وتحويلهما إلى بعضهما البعض إذا وصلا إلى حد التناقض. ج) قانون التطوّر من خلال التناقُضات، بعبارة أخرى، نفي النفي.

وبالرغم من عدم اكتمالة وطبيعته الناقصة، فإن كتاب أنجلز «جَدَل الطبيعة» كِتابٌ مُهم، مع كتاب «الرد على دُهرنغ» لطُلاب الماركسية. من الواضح أن أنجلز أضطر إلى الإعتماد على الاكتشافات المَعرفية والعلمية في ذلك الزمن. وأخيراً، وأوجه مُعيّنة من المُحتوى بها مصلحة تاريخية بشكل رئيسي. ولكن الشيء المُدهش في جَدَل الطبيعة ليس هو هذا وذاك من تفاصيل أو حقائق التي من المُحتم أن تجاوزتها مسيرة التاريخ. إن الأمرُ على النقيض من ذلك، ولكن الشيء المُدهش هو عدد الأفكار التي طرحها أنجلز – وهي غالباً ما تكون أفكاراً تجري في تعارض مع النظريات العِلمية في زمنِهِ – والتي عززها العِلم الحديث بنَباغة.

وخلال الكِتاب كُلُهُ يؤكد أنجلز فكرة أن المادة والحركة (التي نُسميها الآن الطاقة) لا يمكن فصلُهُما عن بعض. فالحركة هي نِسق وجود المادة. إن هذا المشهد الحيوي للمادة وللكوّن، يحتوي على حقيقة عميقة كانت مفهومة فيما مضى، أو خمن وجودها الفلاسفة اليونانيين الأوائل مثل هرقليطس. بالنسبة لهُ "كُلُ شيء كائن وغير كائن، لأن كُلُ شيء في حالة تَغَيُّر وتَقَلُّب مُتواصل". كُلُ شيء يَتغيّر باستمرار، يأتي إلى الوجود ثم يُفنى.

بالنسبة للفطرة السليمة، كُتلة المادة لا تتبدل أبداً. على سبيل المثال، أذا كانت لُعبة الدوامة في حالة دوران، لها نفس وزن تلك التي في حالة سكون. ولهذا أعتُبرت الكُتلة ثابتة، مهما كانت السُرعة. وفيما بعد تم اكتشاف أن هذا خطأ. في الواقع أن الكُتلة تزداد مع السُرعة، ولكن مثل هذه الزيادة لا يمكن اعتبارها إلا في حالات حيثُ تقترب سُرعتها من سُرعة الضوء. ومن أجل المقاصد العملية للحياة اليومية، نستطيع قبول أن كُتلة مادة ما ثابتة مهما كانت السُرعة التي تسير أو تتحرك بها. إلا أنهُ بالنسبة للسرعة العالية، يُعتَبر هذا الزعم غير صحيح، وأنهُ كُلما ازدادت السُرعة كُلما بَطَلَت صحة ذلك الزعم أكثر وأكثر.

وفي تعليقه على هذا القانون يقول البروفيسور ريتشارد فينمان Richard Feynman: "من الناحية الفلسفية نَحنُ مُخطئين تماماً فيما يتعلق بالقانون التقريبي. يجب أن يَتَغَيّر تَصوّرُنا الكامل للعالم رغم أن الكُتلة لا تتغير إلا قليلاً. إن هذا شيءٌ غريب عن الفلسفة، أو عن الأفكار خلف القوانين. وحتى التأثير الصغير يَتَطَلب أحياناً تَغيرات عميقة في أفكارنا..." (R. Feynman، Lectures on Physics)

إن هذا المثال يُبيّن بوضوح الفرق الجوهري بين الميكانيكا الأولية والفيزياء المُتقدمة الحديثة. والشيء الشبيه بذلك هو أن هناك فرق كبير بين الرياضيات الأولية، التي تُستخدم في الحسابات اليومية البسيطة، والرياضيات العُليا (حساب التفاضُل وحساب التكامُل)، الذي ناقَشَهُ أنجلز في كِتابيه "الرد على دُهرينغ" و "جَدَل الطبيعة".

والفرق نفسهُ موجود بين المنطق الصُوّري والجَدَل. فقوانين المنطق الصُوّري كافية للحياة اليومية وتزيد. إلا أنهُ بالنسبة للعمليات الأكثر تعقيداً، تنقلب هذه القوانين رأساً على عَقب. فتُصبح حقيقتها المحدودة خطأً.

الكم والنوع

من وجهة نظر المادية الجَدَلية، ليس للكوّن المادي بداية أو نِهاية، بل يتكون من كُتلة من المادة (أو الطاقة) في

حَالة حركة دائمة. هذه هي الفكرة الجوهرية للفلسفة الماركسية وهي مَدعُومة بالكامل من الاكتشافات العلمية الحديثة على مدى المائة عام الأخيرة.

خُذ أي مِثال من الحياة اليومية: أية ظاهِرة تبدو مُستَقِرة، وسوف نرى تحت السطح أنها في حالة تَغيّر وتَقَلُّب متواصلة، بالرغم من أن هذا التَغيُّر غير مَلحوظ لأول نظرة. على سبيل المِثال، كأس من الماء. "بالنسبة لِعيوننا المُجردة، لا شيء يَتَغيّر، ولكن لو استطعنا رؤيته بعدسة مُكبرة مليار مرة، فإننا سنرى من وجهة نظر العدسة المُكبرة بأنه دائم التَغَيّر: جُزيئات تُغادر السطح، وأخر تعود إليه." (Richard Feynman، Lectures on Physics، chapter 1، p. 8.)

هذه الكلمات ليست لأنجلز، وإنما هي لِعالم مَشهور، المرحوم البروفيسور ريتشارد بي فينمان، الذي كان يُدَرس الفيزياء النظرية في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. ونفس المؤلف يُكرر مِثال أنجلز الشهير لقانون التحوّل من الكم إلى النوع.

يتكون الماء من ذَرات الهيدروجين والأوكسجين في حالة من الحَرَكة المُستمرة. والماء لا ينقسم إلى مُكوناته الأساسية وذلك بسبب التجاذُب المُتبادل بين جُزيئاته. إلا أنهُ إذا تم تسخينه إلى 100 درجة مئوية في الضغط الجوي العادي، فإنهُ يصل إلى نقطة حَرِجة حيث تُصبح قوة التجاذب بين الجُزيئات غيرُ كافية وفجأةً تتطاير بعيدة عن بعضها البعض.

ربما يبدو هذا المثال تافهاً، ولكنَ له نتائج مُهمة جداً للعلوم والصناعة. فهو جزء لِفرع مُهم جداً من الفيزياء الحديثة: دراسة التحولات الطورية. بإمكان المادة أن توجد في أربع أطوار (أو حالات)، صَلبة، وسائِلة، وغازية، وهيولي (بلازما)، بالإضافة إلى أطوار قُصوى أخرى، مثل المائع الحَرِج critical fluids و الغازات المُتَحَلِلة degenerate gases.

وبشكل عام، إذا سُخِنَت المادة الصَلبة (أو إذا خُفِفَ الضغط)، سوف تَتحول إلى الشكل السائل، وتُصبِحُ غازاً في النِهاية. فمثلاً الثلج (ماءٌ مُتَجَمِّد) يذوب ويتحول إلى ماءٌ سائل عند تسخينه. وعندما يغلي الماء فإنهُ يَتَبَخر ويُصبح بُخار الماء. ولكن إذا سُخِنَ بُخار الماء هذا إلى درجة حرارة عالية جداً، يَحدُثُ تحوّل طوري أبعد. وعند درجة حَرارة 12،000 k = 11،726.85 Celsius، يُصبِح البُخار هيولي (بلازما).

وهذا ما يُسميه الماركسيون تَحَوّل الكَم إلى النوع. ومعناه، أن عدد كبير من تَغَيُّرات صغيرة جداً يَنتج أخيراً قفزة نوعية – التحوّل الطوري. ويمكن الاستشهاد بأمثلة أيضا: إذا عَمِلَ المرء على تبريد مادة مثل الرصاص أو النيوبيوم، هناك انخفاض مُتدَرِج لمقاومته الكهربائية، إلى حد درجة حرارة حَرِجة (عادةً بضع درجات فوق – 273 درجة مئوية). وعند هذه النقطة بالضبط، فجأةً سوف تختفي كلُ المُقاومة. وهناك نوع من "القفزة الكمية"، التَحوّل من وجود مقاومة بسيطة إلى اختفاء المُقاومة كُلياً.

يستطيع المرء إيجاد عدد لا حدود لهُ من الأمثلة الشَبيهة في جميع العلوم الطبيعية. العالم الأمريكي مارك بوكنان Marc Buchanan ألَفَ كِتاباً مُهماً جداً بعنوان Ubiquity "الوجود في كل مكان في آن واحد". في هذا الكتاب، يطرح سلسلة طويلة من الأمثلة: سكتات قلبية، حرائق غابات، انهيارات ثلجية، زيادة وانخفاض أعداد الحيوانات، أزمات اسواق الأوراق المالية، حروب، وحتى تغييرات الموضة ومدارس فنون مُختلفة (وسأضيف الثورات إلى هذه القائمة).

جميع هذه الأشياء تبدو ليس لها أي ارتبط بعضها ببعض، ومع ذلك جميعها تخضع إلى نفس القانون، والذي يمكن التعبير عنهُ بمُعادلة رياضية تُعرَف بإسم قانون القوة. إن معنى هذا في المُصطلَح الماركسي، هو قانون تَحَوّل الكمية إلى نوعية. وإن ما تُبَينهُ هذه الدراسة هو أن هذا القانون موجود في كل مكان في آن واحد، بتعبير آخر، موجود في كُلُ المُستويات في الكون. فهو حقيقةً قانون الطبيعة الكوني، الشمولي، تماماً مثلُ ما قال أنجلز.

المذهب الجَدَلي ضد المذهب التَجريبي

"أعطنا الحقائق"! إن هذا المَطلب الضروري جداً يبدو أنهُ ذروة الواقعية التطبيقية. إن الحقيقة أكثر صلابة من أي شيء آخر! وما يبدو أنهُ حقيقي تبين في النهاية أنهُ عكس ذلك. إن ما كانت حقائق راسخة في زمن ما، يمكن أن تكون شيء مُختلف جداً. كُلُ شيء في حالة تَغَيُّر دائم، وكُلُ شيء يَتَغَيّر إلى عكسه عاجلاً أم آجلاً. وإن يبدو أنهُ صَلبٌ يذوب في الهواء.

إن الاسلوب الجدلي يسمح لنا بالنفاذ إلى ما وراء الأشياء الظاهِرة ونرى العمليات التي تحدث تحت السطح. فالجَدَل هو قبل كُلَ شيء عِلم الاتصال التبادلي الكوني. فهو يُقدم المشهد الحيوي الشامل للظواهر وللصيرورات. وهو يُحلل الأشياء في عِلاقتها، وليس إنفِصالها؛ في حَرَكَتِها، وليس ثباتها؛ في حياتها، وليس في مماتها.

إن معرفتنا للدايلكتيك (الجَدَل) معناه أن نَتَحَرر من عبودية الحقيقة الراسخة، ومن الأشياء كما هي عليه، وهي الصفة الرئيسة للتفكير التجريبي الظاهري. في السياسة يُعتبر هذا نموذج للدعوة للإصلاح التي تَسعى لحَجب مُقاومتها للتَغيّر ولإخفاء قِصر بَصيرتها وجُبنُها في اللغة الفلسفية للمذهب البرجماتي، فن المُمكِن، "المذهب الواقعي" وهلُمَ جَرا.

يسمح لنا الدايلكتيك (الجَدَل) بالنفاذ إلى ما وراء "المُسَلَم بهِ"، الشيء المُباشر، أي العالَم الظاهِر، وأن نكشفُ عن العَمليات المُخفية التي تحدث تحت السطح. ونُشيرُ إلى أن وراء الهدوء الظاهِر وغياب الحَرَكة، هناك عملية من التغيير الجُزيئي، ليس في الأشياء المادية فقط، بل في المُجتمع وفي سيكولوجيا الجماهير أيضاً.

وليس من عهدٌ بعيد عندما ضَنَ الناس أن الانتعاش الاقتصادي سوف يستمر إلى الأبد. كان ذلك، أو يبدو إنها كانت حقيقية مُؤكدة. وأعتُبِرَ هؤلاء الذي شككوا فيها بأنهم مُضللون مهووسين. ولكن الآن تلك الحقيقة المؤكدة أصبحت أطلال. لقد تبدلت الحقائق إلى عكسها. وما بدأت أنها حقيقة لا خِلاف عليها اتضَحَ أنها كِذبة. ونقتبس كلمات هيغل: المعقول يُصبح لامعقول.

وباستخدامه لهذه الطريقة لأكثر من قرن من مضى، تمكن فريدريك أنجلز، في عدد من الأمثلة، من أن يرى بعيداً أكثر من أغلب العُلماء المُعاصرين لهُ، مُتوقعاً للكثير من اكتشافات العلوم الحديثة. لم يَكُن أنجلز عالِماً مُحترفاً، ولكن كانت لدية معرِفة واسعة بالعلوم الطبيعية في زمنه.

واعتماداً على فهم عميق لأسلوب التحليل الديلكتيكي (الجَدَلي)، قَدَمَ أنجلز عددٌ مُهم جداً من المُساهمات إلى الترجمة الفلسفية للعلم اليوم، بالرغم من أنها بَقِيت غيرُ مَعروفة للغالبية العُظمى من العُلماء حتى الآن.

وبالطبع، لا تستطيع الفلسفة فَرض قوانين العلوم الطبيعية. لا يمكن تطوير هذه القوانين إلا على أساس تحليلاً دقيقاً جاداً للطبيعة. يتميز التقدم العلمي بسلسلة من التقريبات. من خلال التجربة والمُلاحظة نَحن نقترب شيئاً فشيئاً من الحقيقية، دون أن نستطيع قط معرفة الحقيقة كُلُها. إنها عملية لا نهاية لها من النَفاذ المُتعمق لأسرار المادة والكون. لا يمكن تأسيس حقيقة النظريات العلمية إلا من خلال المُمارسة والمُلاحظة والتجربة، وليس بواسطة أية وصايا للفلاسفة.

إن مُعظم المسائل التي تصارع الفلاسفة معها في الماضي أوجد لها العلم حلولاً. ورغم ذلك، سيكون من الخطأ القاتل الافتراض أن ليس للفلسفة أي دور في العلم تقوم بهِ. هُناك بقي مسارين للفلسفة فقط، بَقيا مَقبولين اليوم والذي لم تستوعبهما الفروع المُختَلِفة للعلم: المنطق الصُوَري والديلكتيك (الجَدَل).

وأكد أنجلز بأن "الديلكتيك (الجَدَل) عَرى الغموضية، وأصبح ضرورة مُطْلقة" للعلم. وبالطبع ليس للديلكتيك (الجَدَل) مَيزة سحرية لِحَل مشاكل الفيزياء الحديثة. ومع ذلك، فإن الفلسفة المُتماسكة الشامِلة ستكون مُساعَدَةٌ لا تُقَدَر بِثمن لإرشاد التحري العلمي نحو الخطوط المُثمرة وتمنَعها من السقوط في جميع الأساليب التعسُفية والفرضيات السرية التي تقود إلى العدم. إن الكثير من المشاكل التي تواجه العلم اليوم تَظهر تحديداً بسبب عدم وجود أساس فلسفي راسخ لها.

(قف)

جعل أبطاله موضوعات للأفكار المتقدمة والعزم والشجاعة

إيفـان تـــورجينيـــف

ايفان تورجنيف شاعر روائي ومسرحي وكاتب قصص قصيرة روسي، وهو من أنصار الأدب الواقعي وكتلميذ في هذه المدرسة وبصحبة صديق وناقد هو بيلنسكي (١٨١١–١٨٤٨) أمن ان دور الأدب هو نقل الحياة كما هي في واقعها الصادق مع السعي لتكييف الانسان للتأقلم مع هذا الواقع وليست مهمته ان يتحول إلى مصلح اجتماعي.
ينتمي تورجنيف إلى الطبقة الارستقراطية في المجتمع الروسي في عهد ما قبل الثورة البلشفية ١٩١٧، وهي الطبقة التي كتب دائماً وطوال حياته ضد مكتسباتها من الطبقات الأقل شاناً.

لاحقاً في الاربعينات والخمسينات كتب عدداً من الروايات والمسرحيات، وكانت صبغة النقد الاجتماعي هي الغالبة على هذه الاعمال، حتى كتب روايته الشهيرة الآباء والأبناء، وهي الرواية التي جلبت عليه سخط الآباء والبنون معاً، وبسبب تزايد النقد هاجر تورجنيف إلى المانيا اولاً ثم فرنسا حيث كتب بعض الأعمال الأقل شهرة قبل وفاته في باريس 22 أغسطس 1883، بعد أن خلف وراءه شهرة عريضة هي بالتأكيد أقل من شهرة مواطنيه ديستويفسكي وتولستوي اللذان اختلفا معه كثيراً بسبب اختلاف النظرة الأدبية ولاعتقادهما أنه كان اقرب تمثيلاً للغرب في طريقته كتابته وفي طريقة معالجته لواقع وطنه وأمته.

له صور رجل رياضي، رودين، بيت الأرستقراطي، عن حواء، آباء وأبناء، التي صدرت عام 1862 وهي الرواية الأشهر لإيفان تورجنيف وخلالها ظهرت قدرته الفذة على إبراز النماذج الإنسانية وسط قالب بيئي يسهي في وصفه حتى يتحول النموذج والقالب إلى كتلة متجانسة تسهم في القدرة على الولوج إلى النفسيات التي تتحرك على هديها النماذج الروائيين في روايته الأولى دخان، عن العالم الشعري لأدب تورجنيف كتب فيكتور شالماييف، كان ايفان تورجنيف الكاتب العظيم في القرن التاسع عشر متواضعاً للغاية في تقييمه لمكانته في الأدب الروسي. حين وصف نفسه بقوله: "انا واحد من كتاب فترة الانتقال بين جوجول وبين الكاتب العظيم المقبل". وعندما ظهرت قصص تولستوي الأولى " الطفولة " و" الفتوة " قال تورجنيف الأستاذ المعترف به وهو يتنهد بارتياح:

" واخيراً الصبح لدينا خليفة لجوجول – خليفة يختلف عنه تماماً كما كنا نتوقع".

اضطر ان يعيش تورجنيف جزءاً من حياته في الخارج. وربما كان ذلك هو السبب في أنه اول كاتب روسي يكتسب شهرة في الغرب، في فرنسا وألمانيا وانجلترا.... لقد كان صديقاً لفلوبير وديكنز وزولا ودوديه. ورغم ذلك ظلت روسيا على الدوام أقرب بلد إلى قلبه، وكرش كل جهوده من أجل نشر الثقافة الروسية في الخارج. وكانت تتملكه

فهدالمضحكي

رغبة جامحة في ان يجعل "الحرب والسلام" لليوتولستوي واشعار بوشكين وليرمونتوف وأعمال جوجول مفهومة لدى القارئ الأجنبي باعتبارها الثروة الروحية لروسيا.

ويواصل شالماييف: كان تورجنيف يحب الفن وكل ثقافة العالم من الفلاسفة العظام وموسيقى بيتهوفن وجلينكا إلى كتابات شكسبير وكالديرون وبوشكين..ان التعليم الرفيع مع موهبة الكاتب الشعرية قد اعطتنا ما نسميه "نوعية تورجنيف" في الأدب.

عاش تورجنيف سنوات عديدة في باريس وقال ذات مرة: " ان باريس تتفتح في المطر كزهرة رمادية" ويذكر اصدقاؤه ومعاصروه في شبابه ككاتب في مقتبل العمر عام 1847، كان عملاقاً يبلغ من العمر الثلاثين ذو عينين زرقاء وكان دائماً كالطفل امام امه التي كانت تحبه بجنون وشاعراً غنياً بالأفكار.

في اريس كتب عن الحياة الأرستقراطية التي يعرفها جيداً، وكانت الحياة في "اعشاش السادة" التي كتبها مستوية بشكل واضح ولكنها كما يقول شالماييف درامية في نفس الوقت وهي من زاوية معينة دائرة معارف للحياة الروسية ونقطة تحولها كذلك.

ويقول أيضاً كان عالم تورجنيف يضم صوراً حيه لروسيا البلد الغني بالمواهب ومثالية الشباب المدهشة والاقدام والاستعداد للمآثر العظيمة. لقد كشف الكاتب عن القوى الكامنة في "روسيا الناس العاديين" بأصالة فنية نادرة في "تخطيطات برجل رياضي" أول كتاب يصور الفلاح الروسي بطيبة واعجاب.

ويصف الكاتب غنى الفلاح البسيط الذي ينضب ومواهبه وحبه للجمال وهذه الزجاجة التي لا نهاية لها وهذا المترامي السحر المترامي للحياة موجود في كافة روايات تورجنيف ويثير اعجاب القارئ باعتباره واحداً من شخصيات رواياته.

ويرى شالماييف ان في كافة رواياته يؤمن ابطاله جميعاً بنفس الفكرة. أنهم يرغبون في ان يجدوا طريقاً لخدمة بلادهم بنشاط والا يكونوا ذوو فائدة للحكومة والدولة وانما ذوو فائدة لروسيا. وتقول احدى شخصيات "درودين" ان روسيا يمكنها ان تتقدم بدون أي منا ولكن لا أحد منا يستطيع ان يستغني عنها.

على من يفكر بهذه الطريقة واللعنة على من يستغني عنها.

تورجنييف الذي عاش ليرى انهيار الرق عام 1816، والذي كان صديقاً للكتاب الثوريين جيرتسن ونيكراسوف وفيما بعد تولستوي كان شديد الحساسية للأفكار التقدمية لعصره. لقد جعل الكاتب ابطاله وسائل للأفكار المتقدمة والعزم والشجاعة. وتركزت أعظم آمال تورجنيف في ابطال رواياته.

كان شباب روسيا الثوري في سبعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر على حق عندما اعتقد ان قصيدة تورجنييف النثرية "العتبة" كانت انشودة شعرية لهم ولجمالهم الروحي ولصلابتهم واقدامهم وغاياتهم في الحياة، كان تورجنييف يؤمن بقوة الجاذبية العظيمة للصفات الإنسانية النبيلة التي امتدحها والتي جعلت نثره جذاباً للغاية للقارئ في أيامنا.

رواية «الخلود» مثالاً

كونديرا – الرواية كما يجب أن تكون رواية

يعبّر الإنسان عن ذاته عن طريق المجازات ـ صورة شعرية تخفي وراءها خريطة معرفية وادراكية للواقع وللذات، فكل إنسان يحوي في دماغه على تفكير أسطوري وشعري مقابل التفكير المنطقي. ويبدأ عمل الروائي التشيكي «ميلان كونديرا» من هذا الأساس (لا أحد يخلو من الحماقة) وتكمن مهمة الرواية لديه في تحطيم المثاليات التي ابتكرها البشر، والتي لو درسناها في مختلف المواقف الحياتية لوجدناها مضحكة أو تدعو للسخرية. نستطيع اعتبار روايات كونديرا تأمّلاً عميقاً في الحياة البشرية، وسواء اتفقنا أو اختلفنا معه، فإنه يحفز على التأمل أو التمهّل قليلاً لإعادة التفكير.

أحمد رضي

يعيب الروائي كونديرا على الروائين تأثرهم بالتراث الشعري لهوميروس ويدعو لخلق عمل روائي مستقل عن الشعر وعن جميع الفنون الأخرى، فالشخصيات الشعريّة هي شخصيات بطولية، تصلح لأن تكون نموذجاً كاملاً يمثِّل حالة رمزيّة معينة، أو يمثل رغبات البشرية وتطلعاتها، بينما الشخصيّة الروائية كما يراها «كونديرا»، يُفترض ألّا تشكّل نموذجاً، ولكنها تدخل في تجارب الحياة المختلفة بكل عيوبها ومثالبها وحماقاتها.

ونستطيع ان نجد بذور هذا الفن الروائي في روايات مواطنه التشيكي (كافكا) ، أو في الرواية الإسبانية الكلاسيكية (دونكيشوت)، حيث قصة عجوز متأثر بروايات الفروسية الشعريّة في القرن الوسيط، وصل لحالة فريدة من الجنون فأراد إحياء تراث الفروسية، معتقداً أنه فارس يستطيع إنقاذ العالم، فسرق طاسة الحلاق وارتداها مثل خوذة فارس، وركب حصانه العجوز لينطلق في مغامراته وتخيّلاته، فكان يقاتل طواحين الهواء معتقداً أنها وحوش أسطورية!

يتكيء عالم كونديرا الروائي على ثيمة واحدة يفككها ويحللها ويدغمها في شخصياته وذلك مثل التنويع على نغمة موسيقية واحدة تنمو وتتصاعد وتهبط، ولهذا سنجد أنّ أغلب عناوين رواياته تتكون من كلمة واحدة (الخلود) (الجهل) (البطء) ...

في رواية الخلود ـ يقصد بالخلود أن نعيش في ذاكرة الآخرين، وليس المعنى الديني، والتي تعد من أهم أعماله على صعيد التقنية والعمق الفكري، فاستطاع تخليص الفن الروائي من كل تعالقاته مع الفنون الأخرى، فكل فن سواء كان سينما أو مسرح وغير ذلك قد يتأثر ببقية الفنون لكنهُ لا بدَّ أن يحتفظ بسماته الخاصة التي تميزه والتي تتناول حالات معينية لا يمكن التعبير عنها إلا من خلال هذا الفن تحديداً

فرواية الخلود على الصعيد التقني خالية من الشعريّة ـ أو أن الشعرية فيها موظفة بقدر محسوب، كما أنها عصيّة على التلخيص أو الاختصار في حكاية واحدة، ويؤذيها كثيراً أن تتحول إلى فيلم سينمائي حيث ستفقد الكثير من قيمتها الغذائية الفكرية، كما لا يمكن التحايل عليها بترك صفحات غير مقروءة، فكل جملة في الرواية مهمة ومؤثرة، إنه يجبرك كما يقول في الرواية نفسها على أن تتخذ الرواية (دربا): أي لا يهم الوصول للنهاية بقدر ما يهم الاستمتاع بالرحلة ذاتها وبكل تفاصيلها

يكمن تحدي رواية «الخلود» في أن كونديرا ككاتب يشترك في أحداث الرواية المختلقة لكن بقدرة هائلة على أخذ مسافة من الشخصيات، فشخصية «آنيس» مثلاً ، ولدت من حركة شاهدها في المسبح وهو بانتظار البروفيسور «أفناريوس»، قام باختلاق هذهِ الشخصية وتحديد خطوطها وسرد حكايتها لتظهر شخصية أختَها لاحقاً ثم من خلالها ينتقل إلى الشاعر غوته وعلاقته بعشيقته بتنا، وبنابليون وغوته وبتهوفن، حيث تتوزع الحكاية عبر التاريخ يربطها خيطٌ شفاف، وهو مَبْحث الكتاب الرئيسي «ما الذي يعنيه الخلود، وكيف يؤثر بأفعالنا». شخصية «أخيل» في ملحمة «هوميروس» كانت تبحث عن الخلود من خلال المشاركة في الحرب، بينما شخصيات روايات كونديرا، عادةً ما تدخل الخلود بطرق متعددة غير تلك التي خططت لها، وعادةً ماتكون ساخرة أو مشوهة.

في رواية الخلود، يخلق كونديرا شخوصه من خلال إشارات، أو حركات أحياناً، مثل أنّ تلويحة باليد، خلقت «آنيس» ثم انطلقت الحكاية حتى تصل أحياناً إلى الفتنازيا كما في لقاء غوته بالكاتب الأمريكي همنغواي في العالم الآخر، كل هذهِ الفصول المتباعدة زمنياً يربطها كونديرا بخيط شفاف وهو التأمل فيما يعنيه الخلود كمفهوم شعري يحركنا ويصيغ سلوكياتنا، كما أنه لا يفتأ يذكرنا بأن الرواية مختلقة أساساً ويدعونا للتأمل حتى في بناءها الروائي

من أين تبدأ الرغبة بالخلود وكيف يخصعنا من يظنون انهم يملكون هذهِ السلطة وكيف نخضع لهم، هي أسئلة هذهِ الرواية فالخلود قبل الكتابة وما بعد الكتابه وحتى دخولنا عصر الكاميرا والتسجيل الصوتي جعلت من صورتنا خالدة، وغالباً لا نستطيع التحكّم بهذهِ الصورة عندما تخرج، صورتنا قد تصبغ لاحقاً بالمثالية أو السخرية، دون أن يكون لنا حق التدخل، فالصورة تظل حتى بعد موت صاحبها

غوته خضع لعشيقته الشابة المشاكسه «بتنا» لأنه وجد فيها قلماً يستطيع أن يشكل صورته حتى بعد موته، ولذلك من الأفضل عدم استفزازها وإعطائها الصورة الجيدة.. «بول» زوج آنيس، كان يقدر كثيراً رأي ابنته لأنه يعتبرها تمثّل جيل الشباب، ولذلك هو يتسطيع الخلود من خلالها والتأكد من أنه لم يغادر الحياة بعد، فالخلود يحكمنا بعدة سلطات متفاوته في التأثير (سلطة الشفاهة ـ سلطة الكتابة ـ سلطة الصورة ـ سلطة جيل الشباب).

قوة الحرف أمام أزمة المعنى

قراءة الحرف هو رغبة ملحة في الحصول على مرفأ آمن للروح. ألقى الضوء على تلك الرغبة أحد أبرز أعلام الأدب المقارن، جورج ستاينر الذي كان عندما يتأمل الحرف، ينتابه شعور بالخشوع تماماً كبليز باسكال، بين العدم الذي خرج منه و اللانهاية التي هو في صدد الذهاب باتجاهها . في عام ١٩٩٤، شحذ هذا الناقد الأدبي همته لإصدار تحفته النظرية : حضور واقعي ، و قد عنى بهذا العنوان تسليط الضوء على وجود طاقة سامية و (transcendent) وراء حقيقة الكلام.

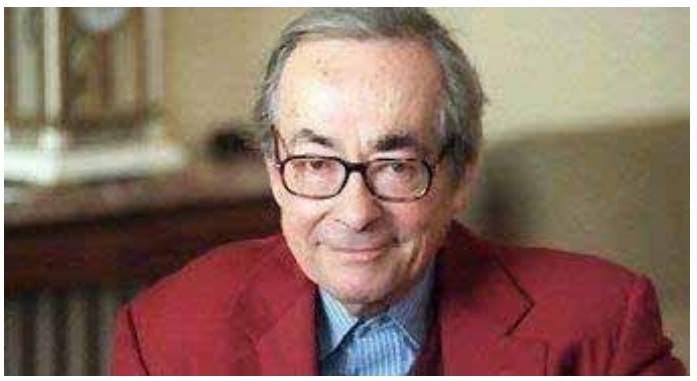

ايبوليت دواين

تناول ناقدنا في هذا الكتاب أبرز ظواهر القرن العشرين تأثيراً على العقول والأرواح. ليست هذه الظاهرة بسياسية أو ايديولوجية، و إنما هي أقرب الى مصطلح الأزمة العقلية و الروحية، التي وقعت على الانسان لتفصله عن حرفه و تتمثل بالانشقاق الذي وقع في زمن الحداثة بين الكلمة و العالم المحيط.

لإثبات نظرية الانشقاق، يدعم ستاينر حجته بما يحدث في الجامعات من تغيّر في طبيعة الدراسات الأدبية، إذ انها تصدر يومياً كميات هائلة من المقالات والدراسات و الأطروحات والاستعراضات العلمية المتعلقة بالأدب والكتّاب، تلك الدراسات استعاضت مع الأسف عن فقه اللغة الإغريقي المنكب على إخراج أبرز سمات اللغة جمالية بالإلحادية العلمية. "فلولوجيا" تشير في معناها الى حب الكلام و الخطاب، وهي أحد فروع علم اللغة التاريخي الذي يركز على علاقة الكلمة بما هو غيبي أو ميتافيزيقي. في السابق كانت الفلولوجيا منطلق التحليل الأدبي الذي كان يربط الكلمة بمعناها، الا أن ما حدث من تقدم علمي وتكنولوجي في القرن التاسع عشر، ممتثلا بولادة النظرية البنيوية و مناهج اللغويات الحديثة لفرديناند دو سوسور أدخل تعديلات جذرية على اللغة ليتم رمي صلة الحروف بالإنسان عرض الحائط ونفي علاقة هذا الأخير بما هو (transcendent)و ميتافيزيقي .

لا نحتاج إلى لوم العقل البارع لرولان بارت أو العمق النظري لجاك دريدا للحديث عن تفاقم حدة تلك الظاهرة، اذ انها تأججت قبل ذلك في القرن العشرون مع الاقبال على المذهب الفلسفي للتفكيكية الذي فكك الحرف و قلب مهنة الكتابة الى لعبة بين الدال و المدلول. ليس ذلك فحسب، فقد شرعت البنيوية في التقليل من شأن الشعر و الرواية لتجردهما من وظيفتهما الرابطة للحرف بروح الانسان ليتحولا الى اختراع ميكانيكي لا ترتبط الكلمة فيه بمعناها الحقيقي و إنما بآلية استجدها صانعها تتحول فيها الحروف الى أرقام.

بتلك الآلية المستحدثة للكلمة، ينذرنا ستاينر من الخضوع المقلق للأدب الى العلوم الصعبة كالرياضيات و الفيزياء. في الغرب المستعمر أمريكياً الذي ينصاع فيه كل شيء للمنطق ومفهوم الربحية و النفعية، يقف الأدب وحده في مفترق الطريق رافضاً الاستكانة الى تلك النظريات، متنوعٌ بطبيعته، مخصب دوماً بقوة كونية سامية (transcendence) ترفض هي كذلك الخنوع الى اعتبارات الرأسمالية و تقنياتها.

يشدد ستاينر على دور القوة الكونية والرهان الكبير بين المعنى والحقيقة المتجاوزة لهيئة الكلمة في إعطاء الأدب نبضه الروحي على مر العصور.

قبل هذا الانشقاق الواقع، كان بإمكان الأدب أن يمثل العالم و حقيقته، كان بإمكانه أن يتلفظ بكلمات ذات حس روحي و كوني، كان الأدب رحلة سفر الكاتب إلى البوح بحقيقة العالَم المحيط به، كان الأدب رحلة غوته على سبيل المثال مع فاوست في إنشاء أجمل حقيقة بين الحياة والعلم وبين الأنا والروح. عقب ذلك ظهور استحداثات ستيفان مالارميه في الشعر ليحدث الشق بين الكلمة و العالم. ما يربط اللغة بالأشياء بالنسبة لمالارميه هي علاقة تجارية. كلمة وردة على سبيل الذكر ممكن أن تختلف ببساطة عن الوردة الحقيقية، فلا نعود نفكر بنفحها الزكي عندما نذكرها، و نستغني ببساطة عن الأولى من دون أن تختفي الثانية. بهذا الشكل، تتمكن مخيلة الشاعر من توظيف كلمة "وردة" مثلما تشاء لاختفاء العلاقة بين الكلمة و النبتة اللذين باتا يملكان قدران مختلفان.

لقد أصبحت اللغة معقدة وتفتقد بشكل كبير للوضوح، اذ انها صارت تحمل في طياتها كثير من غير المتحدث عنه و الغير واع ، دائرة حول الحقيقة دون ذكرها عن طريق علوم المعاني الحديثة. لم تعد الحروف تكشف عن الحقيقة بل تفشي بطلاق تراجيدي بين الأنا و العالم.

يصف الفيلسوف بيير بوتانج جيداً حقيقة ما يحدث للكلمة في سر علم الوجود، أحد أبرز مؤلفاته التي تأثر بها جورج ستاينر، إذ أنه يثور على التلاعب الأدبي الذي حل على الأدب من أجل ابعاده عن معناه، مستشهداً بصورة القارئ الرحال الذي يتمتع بأسفار شتى عند القراءة، فيتحول الكتاب لديه الى سفينة تشد الرحال إلى عوالم باحثة عن المعنى، فيما يبقى بعض أكاديمي الجامعات مسافرين رقميين شديدي الإعاقة، لا يَرَون في الأدب غير لعبة تقنية رامزةً للعدم، مانعين القرّاء من استكشاف ما لم يتم استكشافه بعد، بسبب حساسيتهم مما وراء الطبيعة وخوفهم من ظهور حقيقة اللاهوت في الحروف التي لا ترجع الا لخالقها.

من أجل التغلب على أزمة المعنى، يجب أن نعيد إلى الحرف شرعيته. عوضاً عن مكننة الحرف و إسناده لرأسمالية المنطق، اجعلوا من الكلمات أنغاماً لسمفونية الروح و أسرار العالم. برع العالم المسلم جابر ابن حيّان حينما أكد بأن الكلام جوهر ذو أصل طبيعي، غير ناشئ عن تنظيم و إنما عن نية دافقة من الروح. كل نظريةً ترهن ولادة الكلام بفعل الصدفة هي خاطئة لأن الحروف التي تنشئ الكلمة تظل دوماً نتاجاً لما تريد الروح التعبير عنه.

أمي تناديني

قصة: نعيمة السمّاك

فاطمة أول من وقع عليها نظري حين دخلت الحفل مساء من بين كل الحضور. جلست بقربها اتجاذب واياها أطراف الحديث. لاحت لي صورة الطفلة فاطمة ذات السبعة أعوام، عندما كنت وإياها نقضي ساعات طوال نلهو في الساحة الترابية المقابلة لبيتنا القديم (البيت العود)، نبني بأيدينا الصغيرة بيوتا من الرمال. يمر بجوارنا أحمد الكتات بعربته وحماره. نهرع نحوعربته لنشتري من عنده عقد الخلال الأخضر، الذي لايستقر طويلا حول عنقنا فسرعان ما نقضمه حبة حبه.

بودي لو استعيدها تلك الطفولة الهاربة . كنا طفلتان منسجمتين. لفرط ما احببت فاطمة قريبتي وصديقتي وحسبت آنذاك ان مستقبلنا سيكون متشابها أيضا عندما نكبر. تزوجتُ وأصبحتُ أما. لم تتزوج فاطمة ولم تصبح أما على الرغم من جمالها الآخاذ وابتسامتها الساحرة ودماثة اخلاقها. تخرجت في الجامعة واكتفت فاطمة بشهادة الثانوية العامة ومباشرة حقل العمل. كنا ومازلنا نعيش في ذات الحي إلا أن الدروب باعدتنا على نحو غريب، كان لنا طريقان مختلفان تماما. كلما التقيتها لماما بين حين وآخر في لقاءات العائلة، توهج اعجابي القديم بها. وقفز داخلي ذات السؤال الحائر: لما لم تتزوج فاطمة بعد؟؟

قيل كلما جاءها طارق بكت أختها يثرب التي تكبرها بنحو ثلاثة أعوام. تحب فاطمة أختها كثيرا وتخشى على مشاعرها من الإنكسار. لذا رفضت العرسان حفاظا على مشاعر اختها . بين عريس وآخر تسربت سنون العمر وبقيت الأختان دونما زواج. لكل شيء موسمٍ في هذه الحياة. وقد أغلق موسم الزواج في حياة الأختين. لعلهما لا تنتظران الآن طارقاً يطرق بابهما. تقاعدت فاطمة من عملها. أما ثدياها اللذان لم يلمسهما رجل قط فقد اجتثهما السرطان. حزنت لها كثيرا. حين ذهبت لزيارتها فأجئتني بابتسامها الجميلة وهي في عز المرض.

اوشك الحفل على الانتهاء وقفت مودعة فاطمة. اتفقنا ان يتجدد اللقاء بيننا..

ثمة شعور بالسعادة كان يغمرني وأنا اقود سيارتي في طريق العودة حين لاحت لي ابتسامة فاطمة. حدثت نفسي بالرغم من سنواتها الخمسين، واصابتها بالسرطان، وعدم زواجها، بقيت محتفظة بتقاسيم ذات الوجه الطفولي الجميل ذي الابتسامة العذبة. فاطمة المرأة التي هزمت السرطان وقبلت بالعيش في ظل حائط قوي من الأمل وحب الحياة، وجدتني ادندن

(أمي تناديني، تبي تحنيني، في غضارة صيني صيني على صيني)*

وغاب عني سؤالي الحائر: لما لم تتزوج فاطمة؟؟

*اهزوجة شعبية يغنيها الكبار الى الأطفال

زنبقــة بلـــزاك

سوسن حسن

«إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب، لا من الرأس فاجعل قلبك لا عقلك، دليلك الرئيسي في الكتابة»

«– ألن تتوقف عن الاستغراق في أحلام اليقظة و تعود الى أرض الواقع؟

– أنا ولدت لأسرد الكوميديا الإنسانية، لا يوجد واقع أعظم من تلك الكوميديا !»

هكذا كان يرد بلزاك على آن شارلوت، والدته التي هجرته ليعيش في كنف الحاضنة و هو رضيع. في كل مناقشة محتدمة كهذه، كان الروائي الفرنسي يشعر بغياب حب الأم. كاد يتساءل في بعض الأحيان: كيف لها أن تحبّني وهي لم تحب والدي قط؟ تزوجها و هي تصغره بإثنين و ثلاثين عاماً لينجباني.

الحق يقال بأن غياب ذلك الحب عوض بلزاك بزنبقة الوادي أو لور دور برني. لولا تلك الوردة المحبة، لما كتب أونوريه ليصبح أحد أهم أعلام الرواية الفرنسية الواقعية في القرن التاسع عشر ، و يقهر رومانسية فكتور هوجو و أوجين سو. التقى بلزاك بلور عام 1821، كانت متزوجة، و لها 9 أطفال و تبلغ من العمر 45 عاماً. كان جمالها فاضحاً و لم يقاوم بلزاك التودد اليها في الفترة التي ولدت لوثة الكتابة في عقله.

آمنت لور دو برني بموهبته و حمته من أعباء الديون لينشر «التحفة المجهولة والبحث عن المطلق»، أحد أهم الروايات الفلسفية التي نشرت حتى عصرنا هذا. أعطته لور الروحانية التي يحتاجها الراوي ليحرر أنامل السرد لديه. منحته الحب وحنان الأم الذي كان أونوريه يتوق إليهما ولم تتوقف عن الإيمان بموهبته مثلما فعل الآخرون. عندما كان يوجين سو ينصح بلزاك بهجر الأدب لانعدام قدرته على الكتابة في رأيه، كانت لور تأمره بالإنصراف الى روحه من أجل الكتابة. تحملت تلك المرأة الجبارة سخرية البشر ونزوات بلزاك العاطفية مع مجمع النساء. عندما كانت والدة بلزاك تسخر منها، كانت ترد عليها لور مدافعة: « أنا أؤمن بإبنك الكاتب... يجب أن تؤمنّي به ... سيؤمن به وطنه قريباً... أنتِ أمه !»

– كلا لست أمه، أنا مقرضته فقط، أما أنت فقد فنيت روحك للآلام و العذاب.

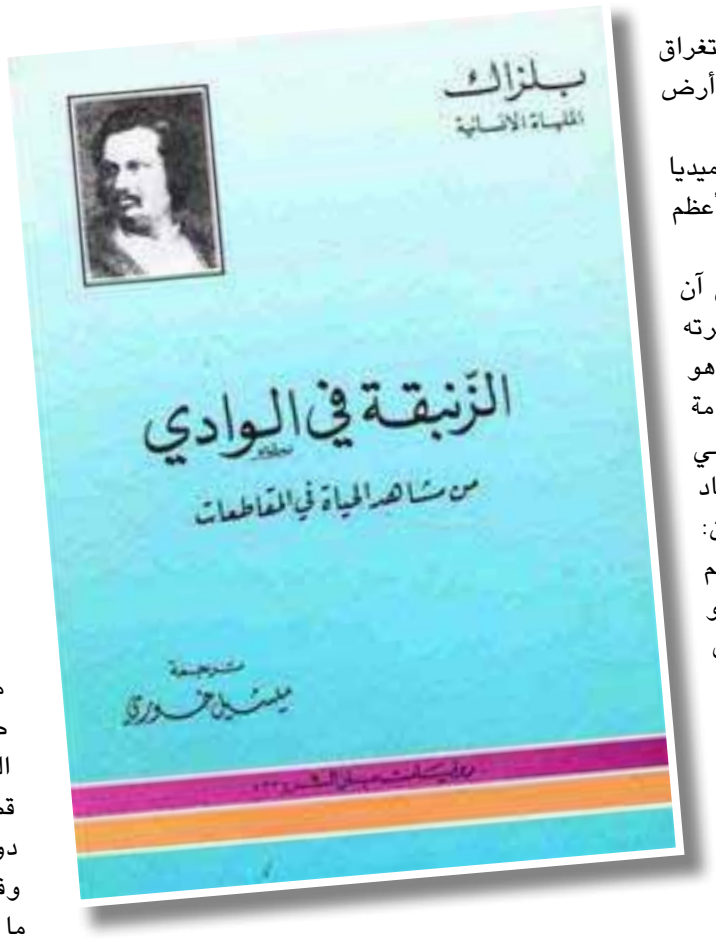

و ترد عليها لور: أنا فنيت باسم الحب.

لم تكذب لور عندما نطقت بهذه العبارة. فارقت الحياة عام 1936، عندما كان بلزاك في رحلة بحث عن الكونتيسة هانسكا التي ستكون آخر زيجاته. رجع بلزاك من رحلته ليعرف خبر الوفاة و يكتب: « لقد هجرني الرب، تلك المرأة كانت إلهي الوحيد، كانت أمي، كانت صديقتي، كانت عائلتي، كانت صديقي، كانت مستشاري، هي التي صنعت الكاتب فيّ»

بعد مماتها، كتب بلزاك الزنبقة في الوادي التي ترجمها ميشيل خوري الى العربية و صدرت عام 2000 عن وزارة الثقافة السورية. تحكي الرواية قصة الحب التي جمعت بين مدام دومورسوف (لور دو برني) وفيليكس (بلزاك) الذي يستهل ما يورده بمعاناة الطفولة بين أم تحتويه و أب منصرف منه، لتهديه السماء لور التي لطالما حكى عنها فرانشيسكو بتراركا، الشاعر الإيطالي في قصائده الملحمية، و تملئه حباً و إيمانا. بعد سنين من علاقة العفة هذه، يقبل فيليكس على نزوة عاطفية تدفع مدام دومورسوف إلى الموت حسرة على حب لن يعود، تماماً مثلما حدث مع مدام لور دو برني.

لا يورد تاريخ الأدب كثيراً مدى تأثير لور على شخصية الكاتب بلزاك التي بفضلها كرّس الكاتب كل طاقته الكتابية لسرد معاناة البشر و التي لولاها، لما كانت الكوميديا أو الملهاة الإنسانية لتكون. عاد فلوبر عام 1856 مستلهماً شخصية لور في مدام بوفاري بعد قراءته الزنبقة في الوادي، و أضحت بذلك مدام دو برني رمز الحب و معاناته في الأدب الفرنسي الواقعي.

لم يكذب من قال بأن وراء كل كاتب عظيم امرأة أعظم. كانت تسمى لور مع الإيطالي بتراركا و صارت تسمى كذلك لور مع بلزاك.

ألفَ بلزاك رواياته على صدى لور تهمس له : «إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب، لا من الرأس. فاجعل قلبك، لا عقلك، دليلك الرئيسي في الكتابة».

واحة الفكر

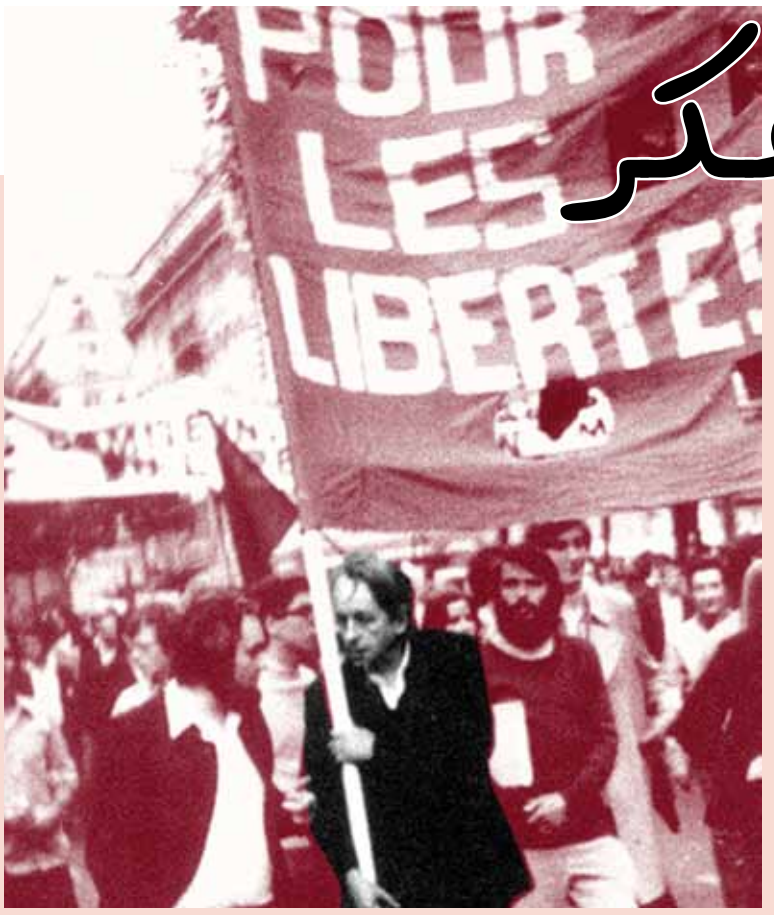

اللوحة:
آلتوسير

ترجمة : هشام عقيل

الاحتفاءُ بالأزمةِ لوي آلتوسير

...أخيراً وصلت الأزمة ذروتها! أخيراً أصبحت مرئية للجميع! أخيراً أصبح من الممكن أن نبدأ بالإصلاح والمراجعة!

...إذا كان أي ثوري يشعر أو يعتقد أنها ستكون مسألة حساسة أو خطيرة حين نتفوه بعبارة «أزمة الماركسية»، للسبب البسيط بأن الكلمات تنزع لأن تأخذ طريقها الخاص، وأن الأزمة، بشكل عام، تؤدي إلى انهيار (تحدث لينين عن «انهيار» الأممية الثانية)؛ والانهيار، بدوره، يؤدي إلى الموت. فإن الأزمة أيضاً تفتح نفسها نحو أزمة تحرر، أو حتى تطور. إذن لندع لهؤلاء الرفاق حرية الحكم من خلال الأدلة؛ وليقرروا إذا كانت الأفكار التالية ستجلب لنا انهياراً أم نهضة.

إذا كانوا يخشون، بشكل مشروع، إن أعداءنا سينقضون على كلمة «أزمة» كما لو كانت اعترافاً ما، يحرفونها كأنما يريدون إلقاءها على وجوهنا، فإذن عليهم أن يضعوا شيئا آخر في البال؛ شيء سأقوله بقدر من الاحتفائية. إذا قبلنا أن نغلق أعيننا أمام الواقع، مستمرين في قبول هذا العمى الذي، حتى قبل حين قريب، كان اجبارياً على أي شخص أراد أن يُقبل كشيوعي، سنكون قد أطلنا مدة إحدى آثار أزمة الماركسية، واحدة من اسوأ جوانبها. وإذا حرمنا أنفسنا الحق في أن نسمي الواقع، الذي أقلقنا وأرهقنا لمدة طويلة، باسمه الحقيقي، بصوت عالٍ جسور، بحجة أن أي منظر أو صحفي بورجوازي سيستخدم هذه الكلمة ضدنا، سنكون قد أطلنا إحدى آثار أزمة الماركسية، بل أسوأها على الإطلاق.

لمدة طويلة جداً، منذ نهاية القرن التاسع عشر، يعلن منظرو البورجوازية، ودائماً باستخدام مثل المصطلحات: أزمة، ونهاية، وموت الماركسية، التي دفنوها تحت حججهم في العلن وبسخرية. فلاسفة مثل فيبر، وكروتشه، وآرون، وبوبر «أثبتوا» أن «فلسفة ماركس» هي مستحيلة أو ميتافيزيقية، مثل تلك الفلسفات التي أنتقدها ماركس. "أثبت" الاقتصاديون العلميون" أن نظرية القيمة هي حكاية خرافية، وأن نظرية القيمة الزائدة هي بلا أي قيمة؛ لأنها ليست عملية بالمعنى الرياضي للكلمة. «أثبت» الرهبان، والأخلاقيون، والسوسيولوجيون، و»علماء السياسة» أن نظرية الصراع الطبقي هي اختراع لماركس وأن الماركسيين أخضعوا العالم لقوانين معينة، بينما يمكن للعالم أن يستمر دونها – وبالفعل، الحصول على كل شيء من دونها. جميعهم أعلنوا لمدة طويلة جداً أن ماركس قد مات، أو اسوأ من ذلك: تم إجهاضه. وهؤلاء الذين

حاولوا «إنقاذ ماركس» من خلال تحويله إلى ثوري بسبب إستنكار أخلاقي، أو إنساني، أو ديني؛ فإنهم ايضاً قد دفنوه، ولكن تحت تمجيدهم واستغلالهم الإيديولوجي.

إذا تحدثنا اليوم عن أزمة الماركسية، ذلك لا يعني أننا نعطي أعداءنا سلاحاً لم يستخدموه أنفسهم فعلاً مئات المرات مراراً وتكراراً. ولن نتحدث كما يفعلون هم، ولن نقوم بذلك لكي نعطيهم حججاً جديدة، بل من أجل ان ننزع منهم حججاً في حوزتهم حالياً كنتيجة لضعفنا السياسي والنظري. هنا ايضاً، ليحكم رفاقنا على الأدلة. أنها ليست مسألة التحدث عن أزمة الماركسية كإنذار. اليوم، وبفضل قوة حركتنا العمالية والحركات الشعبية في العالم – أجل، بفضل قوتها، رغم تناقضاتها الشديدة – أصبح بإمكاننا التحدث، بإيجابية وبهدوء، حول أزمة الماركسية، لتحرير أنفسنا من مسبباتها المعروفة؛ أو على الاقل، من أجل أن نبدأ بالتعرف عليها لتحرير أنفسنا منها. إن أزمة الماركسية، ربما لأول مرة في تاريخها، تستطيع أن تكون بداية تحررها، وبذلك ولادتها من جديد وتحويلها.

هذه ليست كلمات إيمانية، ولكن يتضمن فيها عمل سياسي يشير إلى احتمالية واقعية، في طريقها، فعلاً، نحو أن تنجز في عالمنا الخاص. بالفعل، وصلنا إلى حالة أصبحت فيها الأمور تعتمد علينا، وعلى شفافيتنا النظرية والسياسية، سواء أكانت الأزمة التي فيها كانت الماركسية على وشك أن تنتهي تبلغ ذروتها ليس في بقاءها وحسب، بل أيضاً في تحررها وإعادة ولادتها. إذا أرادت ذلك، على أية حال، على كل رفاقنا الشيوعيين أن يكونوا مشاركين فاعلين: بإمكانهم المساهمة، في أي موقع يحتلونه في الصراع الطبقي، لإعادة ولادة الماركسية؛ باستثناء الذين تخلوا عن كل شيء. سيبدو أن ما قلناه سيعني أن على «كل واحد يحسب لنفسه»؛ حسن! ليكن إذن «كل واحد يحسب وفقاً لقدراته»، وجميعنا معاً، نستطيع أن نساعد الحزب على تجاوز أزمة الماركسية، التي هي ايضاً اليوم، عالمياً، أزمة الأحزاب الشيوعية؛ أزماتها الداخلية.

هذا هو مقتطف بسيط من الجزء الأول من مقالة "Marx In His Limits" عن اللغة الانكليزية من كتاب :
Louis Althusser. Philosophy of the Encounter : Later Writings .87–1978. G. M. Goshgarian [Trans.■، 2006. Ed. Francois Matheron and Oliver Corpet. London : Verso

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 118 ـ سبتمبر 2017 السنة الخامسة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

د. حسن مدن

ثقافة الاصلاح المطلوبة

بعض النقاش العربي حول الاصلاح ينحو منحى يراد منه الهروب من استحقاقات الإصلاح أو الاكتفاء بأخذ القشرة الخارجية منه دون مقاربة ما هو جوهري. ومن ذلك أن الجدل يدور حول مصدر الإصلاح: أيأتي من الداخل أم من الخارج؟!.. وهو جدل يبدو في بعض حالاته جدلاً بيزنطياً، لأنه جدل لا يطرح موضوع الإصلاح ذاته، إنما يفتعل قضية لا صلة جوهرية لها به.

فالقول بأن الاصلاح يجب أن يأتي من الداخل لا أن يفرض من الخارج يبدو أشبه بتحصيل الحاصل، أو لزوم ما لا يلزم لأن قائليه لا يبتغون إظهار حرصهم على أن يتاح للديناميات المحلية في كل مجتمع أن تعبر عن نفسها بحرية في اتجاه أن يشق هذا المجتمع أو ذاك طريقه نحو الإصلاحات ونحو التحولات الديمقراطية الجادة التي لم يعد هناك مفر منها، وإنما يريدون من وراءه الهروب من فكرة الإصلاح ذاتها، ذلك أن الإصلاح قبل أن يصبح مطلباً خارجياً كان في الأصل مطلباً وطنياً للشعوب وللقوى المعبرة عن تطلعاتها.

لا يصح إغفال حقيقة أن التعسف والاستبداد مسؤولان عما صرنا إليه في عالمنا العربي اليوم، من حروب أهلية ومجازر وقبور جماعية واحتلالات أجنبية، "فالطغاة يجلبون الغزاة" على نحو ما قال إبن خلدون في إحدى إضاءاته المدهشة، ولم يعد جائزاً التذرع بأية ذريعة لتأجيل التحول نحو الديمقراطية، وحتى التدخلات الخارجية، دولية كانت أو إقليمية، لا يمكن مجابهتها بتكميم الأفواه ومصادرة الحريات، وإنما بإطلاق المبادرات الحرة للناس بعيداً عن كافة أشكال التضييق، ليكونوا شركاء في حماية أوطانهم.

وهذا يتطلب إشاعة ثقافة سياسية ومجتمعية قوامها مرتكزات عدة بينها:

ثقافة القانون والمؤسسات، القائمة على كسر احتكار السلطة والثروة مع ما يتطلبه ذلك من سن الدساتير التي تشكل عقداً بين الحاكم والمحكوم، والتي على أساسها تفوض السلطة التشريعية للشعب من خلال البرلمانات المنتخبة انتخاباً حراً نزيهاً، وإطلاق نشاط مؤسسات المجتمع المدني من أحزاب ونقابات وهياكل شعبية.

الثقافة القائمة على حرمة المال العام، الذي يجب أن يُصان بضوابط واضحة تضمن قواعد الشفافية وتضع الفواصل بين ما هو عام، وما هو للدولة، وبين ما هو للأفراد، مع ما يستلزمه ذلك من محاربة للفساد والرشاوى والتطاول على ما يندرج تحت باب "بيت المال" الناس، إذا ما استعرنا التعبير المعروف في التاريخ الإسلامي

ثقافة مساواة المرأة وتمكينها سياسياً وحقوقياً واجتماعياً، وإعطاء الأقليات القومية والإثنية والدينية ما لها من حقوق ودمجها في النسيج الوطني للمجتمعات التي تعيش فيها.

ثقافة الإصلاح والتجديد الديني التي من شروطها نزع احتكار جماعات الإسلام السياسي لتأويل النصوص الدينية، من خلال نهوض المؤسسة التعليمية، على مستوى المدارس والجامعات وحتى المعاهد الدينية بمسؤوليتها في تبليغ الدين إلى الناشئة منزهاً من الأهواء والتأويلات التي هيأت تربة التطرف والتعصب وكراهية الآخر، وليست الدعوة إلى الاصلاح الديني جديدة، فهي مدماك من مداميك فكر النهضويين العرب، غير أنها باتت اليوم واجباً دينياً، بمقدار ما هي واجب تربوي وثقافي، فكثيرة هي الجهود التي يجب أن تبذل في المدارس والجامعات وفي الأندية الثقافية وفي المساجد وفي البيوت لإحداث النقلة الضرورية في وعي الشباب، لأن ميول التعصب والتشدد لا تنشأ إلا في مناخ التعبئة بالتطرف الفكري والعداء للآخر، كائنا من كان هذا الآخر، وغياب التسامح والمرونة.. وإن لم توجه مناهجنا التربوية ومحاضراتنا والثقافية نحو غرس فكرة التسامح، فإن الآلية التي تنتج التعصب والتطرف ستستمر في توليد شبان بهذا النسق من التفكير.

وتبدو مسؤولية القوى الوطنية والحداثية في هذا المجال مسؤولية مضاعفة ودقيقة، فنشاط هذه القوى في صفوف الشبيبة والطلبة والأجيال الجديدة عامة نشاط محدود وضعيف، وعلى المستوى العربي العام فان بنية هذه القوى تتسم بالكهولة وحتى بالشيخوخة. وهذا يجعل الجيل الجديد يُعاني من الضياع، ويتحول إلى لقمة سائغة إما للميول السطحية الإستهلاكية أو للتيارات المتشددة، وبالتالي عوضاً عن أن ينشأ لدينا شباب برؤية علمية، عقلانية، متسامحة، متفتحة، ينشأ هذا الجيل بروح الجهل والتعصب الأعمى والنقمة على العالم وعلى الحياة وتستحوذ عليه روح سوداوية متشائمة تدفعه نحو أقصى الخيارات تشددا ليرى فيها خلاصا للذات ونجاة للجماعة.